قافلة الزيت

ذو القعدة ١٣٨٥
فبراير - مارس ١٩٦٦



بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة تسير

عصرنا المتجدد

التجدد والتغير من أهم مظاهر هذا العصر الذي لا يعرف للركود سبيلا ، ولا للتلكؤ طريقا . فهو عصر تقدم فكري وعلمي وفني وصناعي لم يعرف له الانسان مثيلا من قبل . ولعل من أكثر ميزات هذا العصر وضوحا أخبار المكتشفات الجديدة التي بتنا نتوقع قراءتها في صحف الصباح ، والتجديد الذي يطرأ بشكل مستمر على الكثير من الأجهزة والبضائع والسلع التي تخرج الى الأسواق بصورة دائمة . ففي كل يوم نسمع بنظرية علمية جديدة أو اكتشاف مهم طبق في أحد المخترعات الحديثة ، أو نسمع بجهاز أدخلت عليه تحسينات وتبديلات جعلته يمتاز عن مثيله الذي ابتعناه في العام السابق ، والذي أصبح الآن بحكم الواقع قديما يفتقر الى ميزات الجهاز الجديد .

والمؤسسات الصناعية لا تجري هذه التغييرات المستمرة على منتجاتها لتكبدنا شراء أجهزة وسلع جديدة قبل أن تتلف هذه التي لدينا . انها في الواقع تطور انتاجها بحيث يتمشى مع متطلبات العصر فتتمكن هي نفسها من الصمود أمام تيارات المنافسة العنيفة التي ترتكز أكثر ما ترتكز على التجديد والتحسين .. والتكلفة طبعا .

والتجديد الصحيح ، أي الذي يشمل تحسينات وتعديلات ذات قيمة فعلية لا يأتي بصورة عفوية وانما نتيجة دراسات علمية منظمة وأبحاث ، ونتيجة اعتماد الصناعة على العلم وعلى الاستفادة من خبرات العلماء والرياضيين والمهندسين والاداريين .. وكل مؤسسة كبيرة لا ترتكز في عملها على العلم والابحاث والتطور والتمشي مع روح العصر لا يمكن أن تحافظ على مركزها ومكانتها في ميادين الانتاج والمنافسة . وقد يظهر لنا هذا الأمر واضحا اذا علمنا أن شركتين اثنتين فقط ، من مجموعة تضم أكبر خمس وعشرين شركة في الولايات المتحدة ، تمكنتا من المحافظة على مركزيهما ضمن هذه المجموعة خلال السنوات الستين الماضية بينما فقدت الشركات الثلاث والعشرون الأخر مراكزها أمام منافسة غيرها لها .

ومن أكبر عوامل التطور الصناعي في عصرنا هذا سرعة تطبيق النظريات والمبادىء التي يتوصل اليها رجال العلم في مختبرات الجامعات والمؤسسات الصناعية ، وسرعة تقبل الناس لها والاستفادة منها . وأكبر مثل على هذا أن المحرك الكهربائي لم يبدأ استخدامه بشكل عملي قبل مضي خمسة وستين عاما على اختراعه ، وقد بقي أنبوب الراديو ثلاثة وثلاثين عاما قبل التمكن من استخدامه بصورة عملية وأنبوب أشعة أكس ثمانية عشر عاما .. هذا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . أما في السنوات التالية من القرن الحالي فقد استخدم الفرن الذري ، على عظم شأنه ، بعد انجازه بعشر سنين ووضع الرادار قيد الاستعمال بعد خمس سنوات من اختراعه ، والترانزستور بعد حوالي ثلاث سنوات . وهناك مخترعات ونظريات بدأت الاستفادة منها حال التوصل اليها ، وأخرى تصنع لمجرد الحاجة اليها . وهذا كله دليل واضح على مكانة العلم والبحث العلمي في عصرنا هذا .

ولا ينحصر هذا التجديد في حقل الصناعة والانتاج فحسب .. وما يقال عن الصناعة يمكن أن يقال عن الطب وما توصل اليه العلماء من تجديد وتحسين في جميع فروعه . والشيء نفسه يمكن أن يقال عن الفن وما جدد في مدارسه والأدب وكل ميادين الفكر بصورة عامة .

ولكن قد لا يكون كل تجديد بمثابة تقدم وتحسين ، وعلينا دائما أن نأخذ من الجديد ما نراه مفيدا ونترك ما لا يرجى منه نفعا وفائدة .. وقد لا يكون هذا بالأمر اليسير الهين في عصرنا المتجدد .

فؤاد الرايس

في هذا العدد

الصفحة

صورة الغلاف

احد شوارع الرياض الجميلة

تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

قافلة الزيت

العدد الحادي عشر — المجلد الثالث عشر

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها: سيف الدين عاشور

المحرر المساعد: فؤاد الرايس

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ . الظهران . المملكة العربية السعودية

مجال رحلات
ابن بطوطة
في
القرن الثامن الهجري

البحر الأسود
إيطاليا
المغول
الموصل
حلب
قبرص
البحر المتوسط
دمشق
بيروت
النفود
الحجاز
المدينة
مكة
جدة
حضرموت
بحر القلزم

ابن بطوطة وعجائب رحلاته

بقلم : الاستاذ محمود الشرقاوي

أشهر الرحالة العرب وأبعدهم صيتا وأعلاهم مكانة ومنزلة ، ومن أكبر رجال الرحلات وأعظمهم في العالم كله ، شرقا وغربا ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللّواتي الطّنجي المعروف بابن بطوطة .

وقد نالت رحلاته الثلاث مكانة علمية ممتازة ، فوق الشهرة البعيدة التي نالها صاحبها ، فقد نشرت سنة ١٨٥٣ في أربعة مجلدات بتحقيق الاستاذين « ديفريمري » و « سانجوفيتي » وطبعت في باريس ، ثم أعيد طبعها ثلاث مرات سنة ١٨٦٩ و ١٨٩٣ ، و ١٩٢٦م . ثم طبعت في القاهرة ثلاث مرات . الأولى سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) والثانية سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤م) والثالثة سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) . وتوجد منها مخطوطات في مكتبات : باريس الأهلية ، وبلدية مدينة مانشستر في انجلترا ، ومكتبة جامع القرويين في فاس ، وهذه المخطوطات الثلاث ذكرها « بروكلمان » .

ومن مظاهر العناية بها في اللغة العربية تلخيص قام به «محمد بن فتح الله بن محمد» المشهور بالبيلوني الحلبي . وما يزال هـذا التلخيص مخطوطة لم تطبع . وقـد سماه البيلوني : « المنتقى من رحلة ابن بطوطة الطنجي الأندلسي » وهي في ٧١ ورقة متوسطة الحجم . كما صدر في سنة ١٩٣٣ « مهذب رحلة ابن بطوطة » باشراف رجلين من كبار التعليم في مصر يوم ذاك ، هما المرحومان أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك وكان ذلك بتكليف من وزارة المعارف المصرية . وهذا « المهذب » وضع له المرحوم الشيخ محمد فخر الدين عدة خرائط ألحقت به لتبين خط سير الرحلة . وهناك تلخيص آخر . لا يعلم مؤلفه . طبع في القاهرة سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) على نفقة « أحمد أفندي الأزهري » وقام بتصحيحه الشيخ « علي المخللاتي » وهو في ٧٩ صفحة .

ومن مظاهر العناية بها في اللغات الأوربية تلخيص وتعليق ألفه وطبعه المستشرق الانجليزي الكبير « هـ. ر. جب » . وترجمه الى اللغة البرتغالية الأستاذ « موسى كريم » وهو من أصل سوري ولد في بيروت وهاجر الى البرازيل .

ولكن هذه المكانة الرفيعة التي نالتها رحلات ابن بطوطة في مدى خمسة قرون لم ينج منها صاحبها من الشك في حديثه وروايته . وكان أول من شك فيها معاصره ومواطنه « ابن خلدون » . فقد كتب في المقدمة . عن ابن بطوطة وعن رحلته حين عاد هذا من الرحلة الأولى . فأثار فيما كتب بعض الشكوك حيث يقول : « ...وكان أكثر ما يحدث . أي ابن بطوطة . عن دولة صاحب الهند . ويأتي من أحواله بما يستغرب له السامعون . ثم نجد ظلا من الشك في بعض الكلمات التي يذكرها كاتب الرحلة « ابن جزى » الذي أملى عليه ابن بطوطة حديث رحلاته . ونجد هذا الشك صريحا في وصف صاحبي « مهذب الرحلة » فقد أشارا الى بعض أخبارها بأنه . (من الخرافة والسخف بمكان) . »

وفي أحاديث ابن بطوطة شيء غريب كثير . ولكن الغرابة لا تتنافى مع الصدق . وقد يكون ضمن أحاديثه بعض القصص التي كان يسمعها من أهل البلاد التي يزورها . ولكن وصفه للمناطق التي زارها يشهد على صدقه . وتظهر الكشوف الجغرافية في كل يوم دليلا جديدا على هذا الصدق . وآخر هـذه الأدلة التي قرأناها هـذه التزكية التي شهد بها المستشرق الكبير : « كراتشوفسكي » : « كلما تعرضت الأجـزاء المختلفة من وصف رحلته لدراسة دقيقة مفصلة . كلما زادت الثقة في صدق روايته » ص ٤٢١ من كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » وقـد ترجمه الى العربية الأستاذ صلاح الدين عثمان هاشم . وكذلك يقول المستشرق عـن رحلة ابن بطوطة في السودان : « ... وقد ظل وصف هذه الرحلة لا يفضله شيء الا عهد الرحلات الأوربية في القرن التاسع عشر . ويصفه « كراتشوفسكي » بأنه كان « آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية » . ويفضله على معاصره الرحالة « ماركوبولو » فيقول : « انه كان يمتاز عن معاصره الأوربي بأن لديه احساسا ذاتيا بظروف حضارة العالم الذي يصفه » .

مولد طفل

في اليوم الرابع عشر من رجب سنة ٧٠٣هـ (٢٤ فبراير ١٣٠٤) ولد في طنجة طفل سماه أبواه محمدا ونحن لا نعرف شيئا عن أبويـه هذين . ولكننا نعرف أن أسرته كانت من الأسر المعروفة بالعلم والتدين والافتاء . وقـد تولى ابن بطوطة نفسه القضاء أكثر من مرة في بلاد كثيرة من البلاد التي زارها .

وقد تعلم الصبي محمد كما يتعلم أبناء الأسر الكبيرة علوم الدين والفقه واللغة وحفظ القرآن . حتى اذا بلغ العشرين اعتزم الحج وبـدأ في سبيله وبسببه . رحلاته الثلاث التي أمضى فيها ثماني وعشرين سنة قطع فيها من بلاد الشرق والغرب ١٧٥ ألف ميل .. ! ثم نلقاه بعد هذه السنين الطويلة وهذه المئات من آلاف الأميال في مدينة فاس حين استدعاه ملكها السلطان أبو عنان . نلقاه في مسجد من مساجدها يحدث الناس عما شهد وسمع من البلاد والناس والعجائب والمخاطر . وبقي يتحدث الى الناس في ذلك وهم يتحلقون حوله في المسجد حتى مات في سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٨ – ١٣٦٩) م وقـد بلـغ السابعة والستين .

الرحلات

الرحلة الأولى

خرج ابن بطوطة من « طنجة » في أقصى الشمال المغربي في يوم الخميس الثاني من رجب سنة ٧٢٥هـ (يونيو سنة ١٣٢٥م) . فأخذ طريقه الى الشرق مخترقا ولاية تونس حتى اذا وصل مدينتها انضم الى ركب الحجاج فيها وسلك معه طريقه المعتاد عبر بلاد المغرب . فلما وصل الاسكندرية سار في طريق النيل الى القاهرة ثـم منها الى السويس ففلسطين وسوريا ثم الى الحجاز . وبعد أن أدى فريضة الحج خرج الى العراق فزار مدنه الكبيرة ومشاهده وظل في هذه الزيارة زمنا غير قليل .

بعد سنتين من حجته الأولى عاد الى الحجاز ودخل مكة مريضا متهالكا تحمله الركائب والأبل . ثم أراد الله له أن يشفى فأدى حجته الثانية وبقي في مكة سنة كاملة قبل أن يستأنف سيره الى اليمن ومنها الى الصومال الذي يتحدث عنه وكأنه جزء من اليمن . ثم عاد مرة أخرى الى الحجاز فحج للمرة الرابعة . ثم قدم مصر ثانية . ومنها خرج الى بلاد بعيدة من آسيا . الى البلقان حيث نزل في الأناضول . فلما انتهى من زيارتها وسمع بعض ما كان يحدث مـن الوقائع بين الأتراك والروم . قبل فتح القسطنطينية . غادرها الى شبه جزيرة القرم حيث كان المغول يحكمونها وكانوا قد اعتنقوا الاسلام منذ عهد قريب .

وكانت غارات المغول على دولة الخلافة العباسية وغيرها من بلاد الاسلام وتخريبهم بغداد وغيرها . قريبة الوقوع يوم ذاك . فسجل ابن بطوطة آثار هذه الاحداث كما سجل الأثر الرائع الكريم الذي كان لدخول المغول في الاسلام بعد أحداثهم هذه الوقائع الجسام في بلاد الاسلام.

تكون رحلة ابن بطوطة في بلاد القرم ، ثم في الهند بعد ذلك وما بينهما قسما من أهم أقسام رحلاته وأكثرها تشويقا وأهمية وغرابة . فهو في الأولى يصف وصفا جميلا بلاد المغول وطرق سيرهم فيها وعربات نقلهم وركوبهم وصرامة الأحكام التي يصدرونها على السارقين حتى ساد الأمن بلادهم فلا تقع فيها سرقة . ويذكر أن السلطان استقبله بنفسه خارج العاصمة فلقي منه كل اكرام وتوقير . ثم يسير بعد ذلك الى بلاد الهند فيكتب عنها أعجب ما كتب وكتب الواصفون من عجائب وقصص . وذلك بعد أن يزور بلاد البلغار وما يسميه « بلاد الظلمة » . ومدينة القسطنطينية وخوارزم وسمرقند وخراسان وبلاد الافغان . وكانت « دهلي » — كما يسميها — أول بلد نزله من بلاد الهند . وفيها قابل سلطانها محمد شاه الذي أمر بأن يعين قاضيا على المدينة وان يكون راتبه ألف دينار في كل شهر . غير اثني عشر ألفا عاجلة . وأقطعة كثيرة .

في هذه الفترة التي أقامها ابن بطوطة في الهند وصف بلادها وأطال الحديث عن أسرتها الحاكمة

والوقائع والحروب مما هو أقرب الى التاريخ منه الى الرحلة . كما وصف براعة السحرة وعجائب سحرهم . وقــد توثقت الصلات بينه وبين السلطان حتى أوفده هذا في سفارة منه الى ملك الصين .

وفي طريقه الى الصين نزل في جزر « الملايو » التي يسميها باسمها العربي القديم : « ذيبة المهل » والتي أعجب بطيب هوائها وفتنة نسائها فأقام فيها سنة ونصفا وتزوج من نسائها أكثر من امرأة فلما خرج منها طلق جميع نسائه . لأن من عادة النساء فيها أن لا يخرجن من بلادهن أبدا . ثم سافر الى « سرنديب » وفي الطريق بين سيلان وجزر جاوة . خرج القرصان على سفينته فسلبوه ومن معه جميع ما كانوا يحملون حتى الثياب . ويقول انه فقد حينذاك ثروة طائلة من الجواهر الكريمة التي أخذها من الهند وغيرها . ثم أنزله القرصان في احــدى الجزر حيث استراح وأمن واكتسى ثم خرج منها الى البنغال فالصين حيث يصف تجارتها . وصناعتها . وموانيها . والأمن والسلام فيها . وثروة أهلها الطائلة . وقد ذكر أنهــم كانوا يعرفون ورق النقد « البنكنوت » ويتعاملون بــه . ويعرفون نظام الجمارك . وصناعة الرسم والتصوير على الحوائط . والورق . ونظم « التأمين » للشيوخ والعجزة . ولم يطل مكثه في الصين حيث قامت الفتن فيها فتركها عائدا الى الهند حيث أخذ طريقه عائدا الى المغرب عن طريق الشام ومصر . حتى اذا بلغ دمشق عرف أن أباه مات قبل خمس عشرة سنة . وان ابنا له . من زوج دمشقية تركها في زيارته الأولى قد مات قبل اثنتي عشرة سنة . وكانت قد مضت عشرون سنة على خروجه من دمشق .

ترك ابن بطوطة دمشق . والطاعون يفتك بالناس فيها وفي الشام كلها فهبط مصر والوباء يجتاحها أيضا . وبقي في القاهرة زمنا قصيرا خرج بعده الى الحج . ثم عاد الى القاهرة يتسقط أخبار وطنه وقــد زاد به الحنين اليه . وفي شهر صفر سنة ٧٥٠هـ (مايو من سنة ١٣٤٩م) ، ركب السفينة الى تونس . وكان يريد أن يرى أمه في طنجة . فلما علم في تونس ، أنها ماتت بقي فيها آسفا محزونا ، حتى اذا اطمأنت نفسه ترك فاس الى طنجة حيث زار قبرها وبكى بكاء كثيرا .

الرحلة الثانية

ألح به الحنين مرة أخرى الى السفر والرحلة فقصد في هذه المرة بلاد الأندلس حيث كانت دولة العرب والاسلام فيها تحتضر . فزار ما بقي في يدهم من « الفردوس المفقود » . زار « غرناطة » زيارة قصيرة . كما زار « رندة » و « مالقه » ، ثم عبر مضيق جبل طارق عائدا الى المغرب . وفي طريق رحلته تلك زار قبر أمه . ويقول في خروجه الى الاندلس انه قصد « الجهاد » . ولكنه لم يفعل شيئا .

الرحلة الثالثة

في غرة المحرم من سنة ٧٥٣هـ (أوائل سنة ١٣٥٢م) . بدأ رحلته الثالثة . فخرج مع جماعة من التجار الى غرب أفريقيا عبر الصحراء الكبرى ، حتى وصل بعد رحلة طويلة شاقة — مدينة « أبو الاتن » حيث أقام فيها فترة يستريح . ثم الى « مالي » أعظم مدن هــذه المنطقة يوم ذاك . والتي نالت استقلالها قبل سنوات . ثم الى نهر النيجر . وقد أخطأ فظنه النيل ، فزار « زاغة » و « وتمبكتو » ثم بلاد « دنقلة » والنوبة . حدود ما بين مصر والسودان .

وهو في بلاد السودان يشاهد ويسجل ويصف . وقــد شاهد فيها مظاهر الحضارة والثقافة العربية والاسلامية كما سمع أنباء القبائل البدائية التي وصل الى حدودها والتي كانت تأكل الناس . وفي مدينة سودانية اسمها « تكدا » وصل اليه أمر من أمير فاس بأن يعود . فعاد مسرعا مع قافلة من التجار حتى وصل « سجلماسة » سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤م) ومنها الى فاس حيث استقبله سلطانها وأكرمه وأمر كاتب السلطنة : « ابن جزى » بأن يستمع منه الى أنباء هذه الرحلة الطويلة العجيبة وان يكتبها . فكان من هذه الصفحات ما نقرأ في « رحلة ابن بطوطة » من العجائب والغرائب والحقائق والأحاديث . تلك التي سماها صاحبها : « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » .

مخاطر وأهوال

وقد لقي رحالتنا في هذه الأسفار الطويلــة البعيدة صنوفا من المخاطر والأهوال ، غير مشقات السفر بالوسائل البدائية التي كانت تلك العصور لا تعرف غيرها . كان يسير ، في أكثر الأحيان ، مع قوافل التجار التي كانت عرضة للسراق وقطاع الطرق ووحوش البر . أو يركب سفينة من ذوات الشراع قــد تطويها الريح ويعلو بها الموج وينخفض ويشملها الظلام ويملأ قلوب أهلها الخوف والهول . وأحيانا يسير في رفقة . قد لا يزيدون على العشرة ، من الفقراء وأهل العلم . وأكثر ما كان سيره مع هؤلاء في جبال العراق الوعرة الشامخة وسهولها الفسيحة المجهولة . ففي الهند خرج عليه فارسان وثمانون راجلا قطعوا عليه وعلى من معه الطريق ، ولم يكن معه سوى اثنين وعشرين رجلا . وكاد أن يغرق في البحر بعد أن لقي فيه أهوالا وذلك بين « قطمونة » وميناء « الكرسن » في البحر الأسود . وقد رأينا نبأ أولئك اللصوص من القرصان الذين خرجوا على سفينته فسلبوه وقومه كل شيء ، حتى الثياب ومنوا عليهم بأن أبقوهم أحياء .

صور من الرحلة

تحفل رحلة ابن بطوطة بكثير من الطرائف والعجائب ، كما ينم عن ذلك اسمها . وفي هذه الصفحات نعرض بعضا منها : من ذلك ما تحدث به عن الشيخ « برهان الدين » . الذي لقيه في الاسكندرية . فقد قال له الشيخ يوما : أراك تحب الرحلة والسير في البلاد .. ؟ فأجابه : نعم . ولم يكن يجول في خاطره . وهو في بدء رحلته . أنه سيصل الى الهند أو الصين . ولكن الشيخ قال له : لا بد لك ان شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند . وأخي ركن الدين زكريا بالسند . وأخي برهان الدين بالصين ، ثم نجد في حديث ابن بطوطة عن هــذه البلاد أنه لقيهم فيها وبلغهم سلام أخيهم الشيخ برهان الدين .

وفي حديثه عن بلاد الشام يقول أنه كانت في بلاد الشام . وفي دمشق خاصة . أوقاف (لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها) . فهناك أوقاف لمن يريد الحج ولا يستطيعه فيعطى من الوقف لرجل يحج عنه ، ما يكفيه للسفر واقامة المناسك والعودة . وأوقاف لتجهيز الفقيرات وتأثيث بيوت الزوجية لهن . وأوقاف لفك من يقع في أسر الأعداء ، ولفقراء المسافرين ، يعطى كل منهم مأكله وملبسه وزاده حتى يصل بلده . وأوقاف لتمهيد الطرق ورصفها . وشوارع دمشق . كما وصفها . ان لكل واحد منها — رغم ضيقها — رصيفان على جانبيه يسير فيهما الراجلون . ويمر الراكبون في الوسط .

وقد ذكر في حديثه عن دمشق قصة طريفة قال : مررت يوما في بعض أزقتها فرأيت خادما صغيرا قــد سقطت من يده صفحة من الصيني — ويسمونها الصحن — فانكسرت وتجمع الناس حوله متأثرين مشفقين . فنصحه واحد منهم بأن

يجمع شقفها ويحملها الى صاحب « أوقـاف الأواني » ، فجمعها الغلام وذهب معه الرجل الى صاحب الوقف فلما رأى هـذا الصحن المكسور دفـع للخادم مالا يكفيه لشراء غيره . ورأى على أحد أبواب دمشق « ساعة » . وهي عبارة عن غرفة على هيئة طاق كبير له طيقان صغيرة مفتوحة لها أبواب على عدد ساعات النهار . والأبواب والطيقان مصبوغة من الباطن باللون الأخضر ومن الظاهر بالأصفر . فاذا مرت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهرا والظاهـر الأصفر باطنا .

البلاد المقدسة

أما حديثه عن الحجاز وبلاده المقدسة فيفيض بالروحانية والصفاء والحب . ونشعر في حديثه عن المدينة المنورة خاصة انه كان يعيش بين أخـوة مسلمين جمعتهم عقيدة الحق من جميع البلاد الاسلامية . فخطيب المسجد النبوي كان من تونس ، واثنان من أبنائه يلبيان التدريس فيه . وواحد منهم كان نائبا لحاكم المدينة . ومـن المقيمين فيه نجد المغربي ، والأندلسي . ومنهم وزير من غرناطة . كما نجد من المقيمين فيـه والعاملين المصري ، والشامي . وكان خدم الحرم فتيانا مـن أهل الحبشة على هيئة حسنة وثياب نظيفة يعرف كبيرهم بشيخ الخدم .

في العراق

ويفيض حديثه عن العراق بذكر الزوايـا والتكايا والأربطة ، فكان يجد في طريقه كثيرا منها . في كل واحدة منزل للضيفان والطارقين . وما كان منها في الصحراء ، يجلب اليها ما يحتاجه النازلون من المدن القريبة . ويذكر عن بعض أمراء العراق أنه أقام أربعمائة وستين زاوية وقف عليها ثلث الخراج الذي يناله من اقليمه . وقد ذكر عن مدينة « واسط » انه كان في مدرستها نحو ثلاثمائة حلقة ينزلها الغرباء ويتعلم فيها الصبيان ويعطي لكل منهم نفقة كل يوم وكسوة في كل سنة .

نساء اليمن

ووصف نساء اليمن — وبخاصة مدينة «زبيد» بالجمال والحسن الفائق . وقال انهن يخرجن الى الأسواق ببعض الفاكهة والبلح ويركبن الجمال في سفرهن لهذه التجارة . وهن أهل كرم وشجاعة ، ويقبلن على تزوج الغرباء . فاذا سافر الزوج خرجت زوجه لوداعه واذا كان له منها ولد أبقته معها وأنفقت عليه وعلى نفسها حتى يعود أبوه فلا تطالبه بشيء من النفقة ، واذا كان مقيما فهي تقنع منه بالقليل . ولكن نساء اليمن لا يتركن الموطن مع أزواجهن أبدا .

لبان عمان

وفي طريقه الى عـُمان يجد شجر « اللبان » كثيرا جدا ، تشق الورقة منه فيقطر منها ماء يشبه اللبن . ثم يجمد كالصمغ فيكون منه اللبان . وعيشة الناس فيها قائمة على السمك الكبير الحجم الذي يشبه « كلب البحر » : يقطع شرائح ثم يقدد ويؤكل . وبيوتهم من عظامه وسقوفها من جلد الجمال .

عربات بلاد القرم

وعندما نزل ببلاد القرم اشترى « عجلة » ليسافر عليها كما يفعل أهل تلك البلاد . وبعض هذه العجلات ، تجره فرس وفرسان وأكثر ، ومنها ما تجره الأبقار والجمال . وسائق العربة يركب أحد الأفراس ، من تحته سرج وفي يده سوط وعصى . وفوق العربة قبة من خشب يشد بعضه الى بعض بسيور رقيقة من الجلد وهي مكسوة باللبد خفيفة الحمل . وفي جانبيها نوافذ مشبكة يرى من في داخلها الخارج ولا يراه من في الخارج . وراكب العربة يقرأ فيها ويأكل وينام وهي تسير .

البلغار وبلاد الظلمة

ترك ابن بطوطة بلاد القرم هذه وذهبها وثراءها الى بلغاريا ليشهد انتهاء « قصر الليل » . سار عشرة أيام حتى وصلها في رمضان . (فلما صلينا المغرب أفطرنا وأذن بالعشاء في أثناء افطارنـا فصليناها وصلينا التراويح والشفع والوتر ، وطلع الفجر أثر ذلك . وكان هذا هو الليل كله الذي شهده ابن بطوطة في صيف تلك البلاد . وقف بعدها يسمع أحاديث الناس عن « بلاد الظلمة » ، « القطب الشمالي » وتنازعـه رغبته الجارفة في السفر اليها . ولكن ما عرفه من عظم المشقة وطول الطريق منعه من ذلك فاكتفى بوصف رحيل الراحلين اليها وسفرهم على عجلات صغار تجرها كلاب كبار ، ثم يصف طريق تجارتهم في جلود السمور والسنجاب دون أن يرى التجار أحدا من أهل تلك البلاد . لأن سكان تلك البلاد ، عندما يعرفون قدوم التجار ، يذهبون الى مكان قريب منهم فيتركون فراءهم ، ويراه التجار فيضعون الى جواره الثمن ، وهو بضاعة لا نقود . ثم يعود السكان ، فاذا أرضاهم الثمن أخذوه وتركوا فراءهم ليأخذه التجار . واذا لم يجزهم تركوه ، فيزيده التجار ، وهكذا حتى يتم البيع .

في بلاد الذهب والنار

وأعجب العجائب في رحلة ابن بطوطة ما ذكره عن بلاد الهند ، بلاد الذهب والغرائب ، اذ نجده يذكر الذهب والجواهر الكريمة في كثرة ظاهرة فيما أهداه ملكها وأمراؤها له ولغيره . أما النساء اللواتي يحرقن أنفسهن حزنا على أزواجهن فقد وصف ما شهده في « حفلة » من حفلاتهم وصفا يثير الحزن والعجب . حيث يجتمع النساء اللواتي عزمن على ذلك فيقمن ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب والنساء يجئن اليهن من كل جهة ثم يؤتى في اليوم الرابع لكل واحدة بفرس تركبه مزينة معطرة وفي يمناها « جوزة نارجيل » تلعب بها وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجههـا والناس يحفون بها يضربون الطبول والأبواق وهم يطلبون اليها أن تحمل سلامهم الى أقربائها في الآخرة وهي تقول : نعم وتضحك . فاذا بلغن مكان النار المشتعلة المتأججة وسط الغابة جردن أنفسهن من الحلي والثياب فتصدقن به ثم يصب عليهن الزيت — بعد أن يلقين أنفسهن في النار — لتزيد اشتعالا ، ويقف خمسة عشر رجلا بأيديهم حزم الحطب الرقيق يلقونه في النار فوق المرأة . كل ذلك والأبواق تعلو والطبول تدق والأصوات ترتفع بالصياح والضجيج . ثم يقول ، بعد أن يصف هذا المشهد المفزع انه كاد أن يسقط من على ظهر فرسه لولا أن تداركه أصحابه .

في بلاد الصين

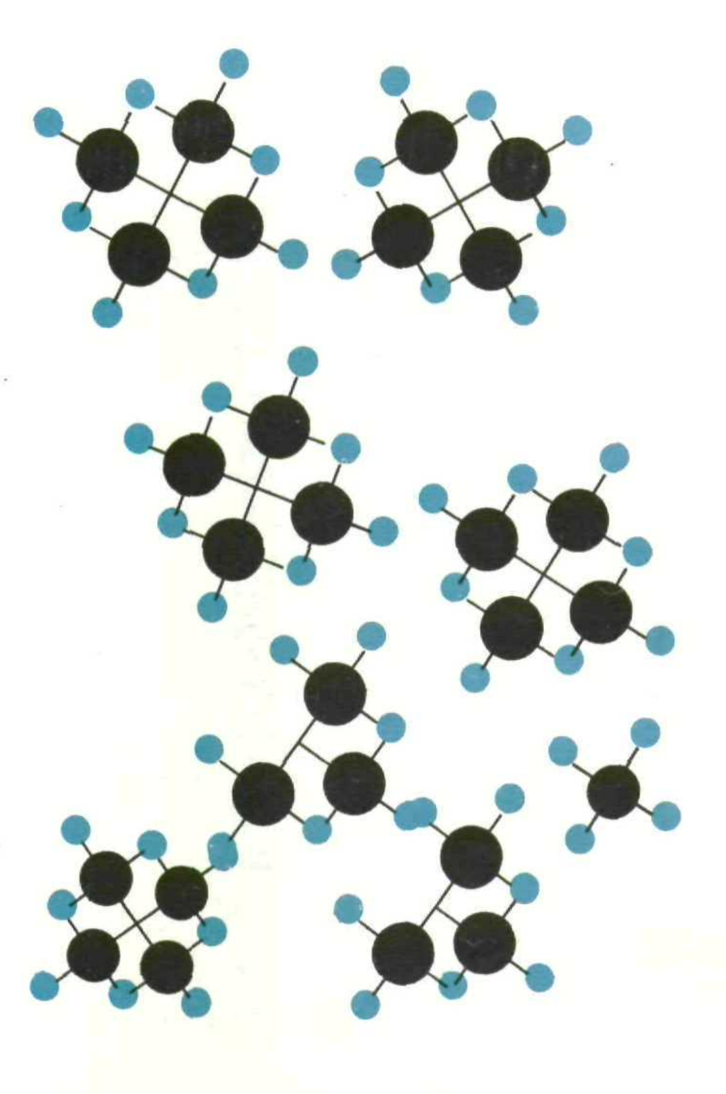
أما حديثه عن بلاد الصين فيدل على ما كان فيها من الحضارة والتقدم فقد ذكر أنهم كانوا يعرفون نظام التحاويل المالية « الشيكات » ويتعاملون به ، ويجيدون صناعة الحرير ، ويعرفون صناعة الورق ، ونظام التأمين للشيوخ والعجزة .

كما ذكر أن بيض الدجاجة في الصين أكثر ضخامة من بيض الأوز ، وانه اشترى أوزة فلم تتسع قدر واحدة لطبخها . أما الديك ففي حجم النعامة .

خلايا الوقود

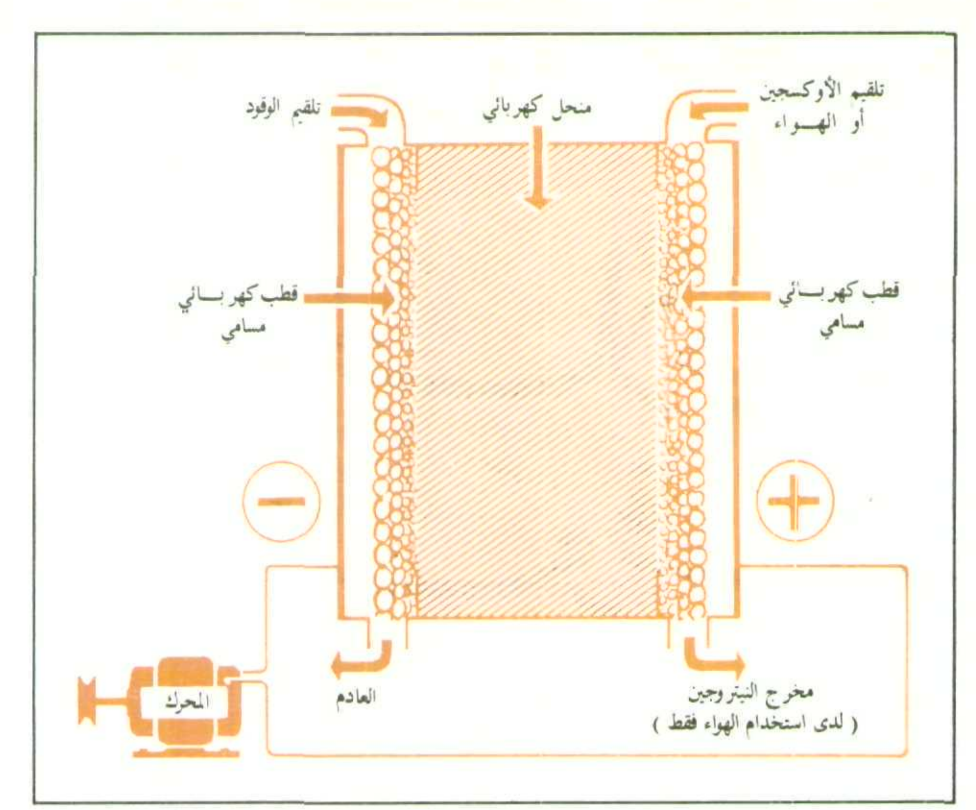
مازال رجال الأبحاث يوالون دراساتهم وتجاربهم نحو انتاج خلية وقود (Fuel Cell) تستخدم كمصدر للطاقة الكهربائية . وقــد أفضت هذه الدراسات الى نتائج مثمرة الا أن تكاليف العمل ونفقاتــه الباهظة تقف حجر عثرة في سبيل تطوير هذه الخلية واستعمالها على نطاق عام .

وأكثر الطرق السائدة اليوم في توليد الطاقــة الكهربائية للاستهلاك اليومي ، اثنتان : ميكانيكية وهي التي تعمل بمبدأ المولد ، وكيميائية وهي التي تتخذ شكل البطارية التقليدية . والمولد ، كما هو معروف ، يحول الطاقة الميكانيكية الى طاقة كهربائية ، فمثلا لو أتينا بسلك لولبي وجعلناه يدور بين قطبين مغنطيسيين تولد في السلك تيار كهربائي وهكذا ... أمــا البطارية ، فهي بمثابة مولد كيميائي يتألف مـــن منحل كهربائي (Electrolyte) واحد ، وقطبين كهربائيين (2 Electrodes) أحدهما عبارة عن صحيفة رقيقة من الزنك تكون غلاف البطارية ، والآخر عبارة عن قضيب من الكربون مركب في وسطها . فتحت تأثير المنحل ، تنبعث من القطب الزنكي ومضات كهربائية (الكترونات) يستقبلها القطب الكربوني ، فيتولد بذلك تيار كهربائي . ومن المعروف أن مصير البطاريــة ومدى فعاليتها يتوقفان الى درجة كبيرة عــلى مبلغ صلاحية العناصر الكيميائية فيها . فاذا ما نفدت هذه العناصر وتبددت ، فقدت البطارية فعاليتها وغدت غير صالحة للاستعمال .

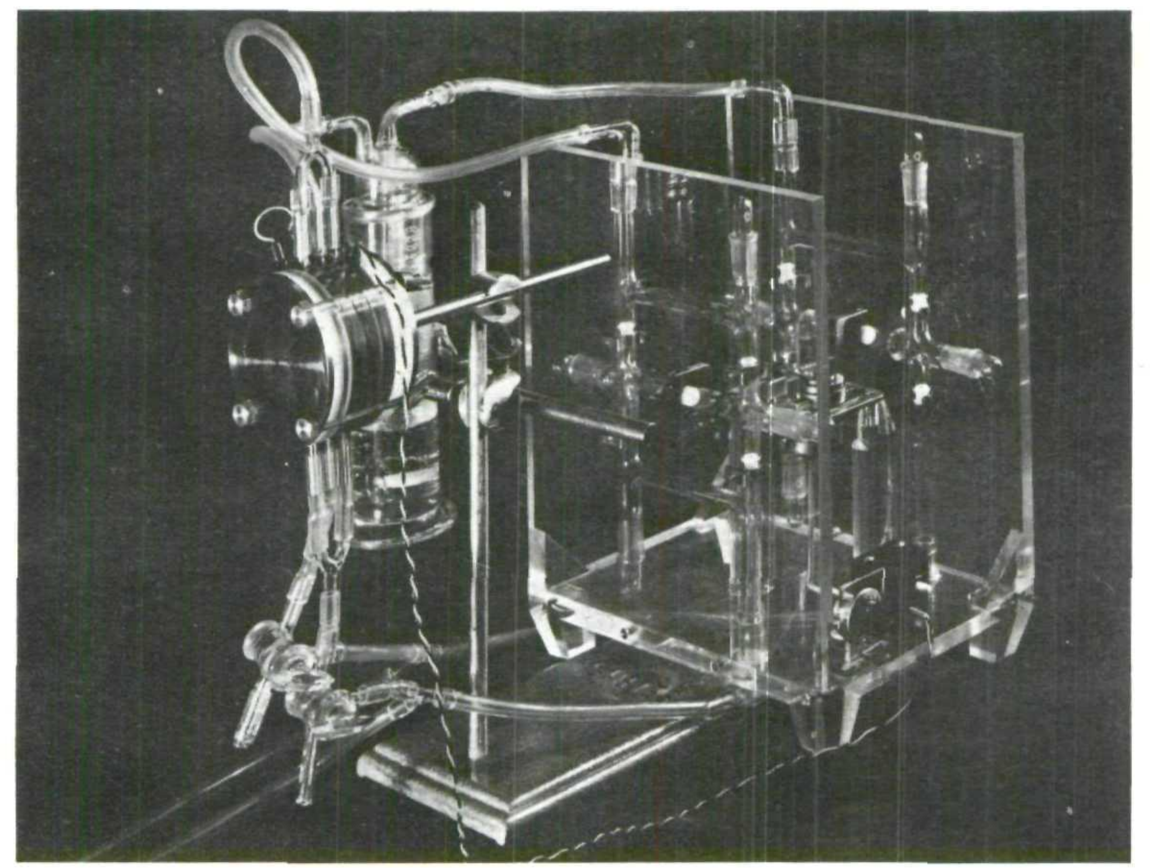


هنالك جهاز آخر لتوليد التيار الكهربائي يستأثر اليوم باهتمام كبير من لدن علماء الأبحاث في شتى أنحاء العالم . انه خلية الوقود . ومهمة هذه الخلية تحويل المحروقات الكيميائية مباشرة (دون عملية احتراق) الى طاقة كهربائية . وهي ، كما يصفها المهندسون ، تضارع البطارية أو المصباح الكهربائي في صفاته وخواصه باستثناء فرق حيوي واحد هو أن خلية الوقود قادرة على توليد تيار كهربائي ما دامت تغذى بالوقود بصورة دائمة . بينما التيار الكهربائي الذي تولده البطارية يتوقف على حالة المواد الكيميائية التي تحتوي عليها . وفي حال نفاد هذه المواد أو تلفها تفقد البطارية قيمتها فتصبح باطلة المفعول .

والوقود الذي تتزود به الخلية مكون من الايدروجين ، والكحول ، والميثانول . ويتولد التيار الكهربائي عندما يتفاعل هذا الوقود مع الأوكسجين النقي الذي يلقم من أحد جانبي الخلية .



رسم تخطيطي لخلية الوقود المرتقبة ، يبين طريقة تحول طاقة الوقود الكيميائية الى كهرباء مباشرة .



جهاز تجريبي لخلية الوقود قام بتصميمه احد مراكز الابحاث في استراليا .



خلية وقود جديدة تعمل بغاز « الميثانول » وقد استخدمت في بريطانيا ، على نطاق تجريبي ، كما يبدو في الصورة ، في تشغيل مطرقة كهربائية .

هناك تصميمات عديدة مختلفة لخلية الوقود قام العلماء بتصميمها وتطويرها . لكن التكاليف المترتبة على بنائها وتشغيلها تبدو باهظة نسبيا مما يجعل استخدامها على نطاق عملي واسع في بحر سنوات قليلة أمرا بعيد الاحتمال . اللهم الا في مجالات محدودة . ويرجع الفضل في استخدام خلية الوقود في أول مجال صناعي الى مؤسسة « برات وهويتني » الأمريكية التي قامت في أكتوبر عام ١٩٦٢ بتزويد احدى محطات ضغط الغاز الطبيعي في مدينة سانتون . بولاية كنتكي . بخلية وقود تبلغ طاقتها ٥٠٠ واط لتشغيل شبكة من الأجهزة الالكترونية . أما نوع الوقود الذي زودت به الخلية آنذاك فهو « ايدروكسيد البوتاس » (البوتاس الكاوي) كمنحل كهربائي .

ومن بين المحروقات الأخرى التي يتوقع استخدامها في تشغيل خلية الوقود . كحول الخشب (Methyl Alcohol) والايدرازين (Hydrazine) والباريوم المعدني الجامد . وأكثر أنواع خلايا الوقود كفاءة هي تلك التي تستخدم الباريوم لتوليد تيار كهربائي عالي الضغط.

وتعتبر خلية الوقود من حيث القدرة والكفاءة . أفضل مصدر لتوليد الطاقة الكهربائية تم التوصل اليه حتى الآن ، اذ تربو نسبة كفاءتها . من الوجهة النظرية . على ٩٠ في المائة . بينما تصل في مجال الاستعمال اليومي الى نحو ٧٠ في المائة . كما وتبشر الانتصارات الملحوظة التي توصل اليها كوكبة من مهندسي التصميم ابان السنوات القليلة الفائتة . بأن خلية الوقود قد تشق طريقها الى الأسواق على نطاق تجاري واسع في مدة أقصر مما تتوقعها بعض الجهات المختصة . ونظرا لعدم قدرة الوسائل الحرارية التقليدية على توليد الطاقة الكهربائية الى الحد المطلوب ، فان هناك بصيص أمل يبشر باستخدام خلية الوقود لهذا الغرض . وهذا الأمل المرتقب يمكن تحقيقه في فترة وجيزة اذا ما تمكن العلماء من تصميم خلية ملائمة تعمل بالغاز الطبيعي على درجات حرارة منخفضة نسبيا .

هذا . ويعتقد المهندسون باحتمال استخدام خلايا الوقود في ميدان توليد الطاقة الكهربائية . لا سيما في الأوقات التي يبلغ فيها الاستهلاك أوجه. فالطاقة الفائضة عن محطات الكهرباء خلال الساعات التي ينخفض فيها الاستهلاك يمكن استغلالها والانتفاع بها في انتاج الايدروجين والأكسجين لتزويد خلية الوقود بهما لتوليد الطاقة الكهربائية الكفيلة بتلبية متطلبات الاستهلاك الضخمة عند الحاجة .

وتشير بعض المصادر العلمية الى أن أول خلية وقود ظهرت الى حيز الوجود كانت على يد السر « وليام جروف » البريطاني وذلك قبل ١٢٦ عاما . وفي عام ١٩٣٢ أخذت نظرية ابتكار خلية الوقود تحيا وتنتعش وتتعرض لاستقصاءات علمية ساهم فيها نخبة من العلماء يتقدمهم العالم ف. تي. باكون من جامعة كمبردج . فهو أول من تصور احتمال تطور هذه الخلية كمصدر لتوليد الكهرباء على نطاق واسع . فمنذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها والعلماء في كل من بريطانيا والولايات المتحدة . وألمانيا . وروسيا . والسويد . واستراليا . وغيرها من الدول الأوروبية يحاولون انتاج خلايا وقود قابلة للاستعمال بصورة تجارية . والجدير بالذكر أن اختراع « بيكون » كان له قصب السبق بين الآخرين. وقد جرى عرضه في عام ١٩٥٩ كمصدر لتوليد الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيل أجهزة اللحام الصغيرة الحجم والرافعة ذات الشعبتين. وقد استخدم فيه الايدروجين والأوكسجين كوقود والأوكسجين كمؤكسد .



جرارة تجريبية تسيرها خلية وقود ، قامت بانتاجها شركة « اليس – شالمرز » الامريكية ، وهي من القوة بحيث تستطيع جر محراث يشق ثلمين معاً .

ان انتاج خلية وقود من هذا النوع بالجملة وعلى هذا المبدأ ، أمر بعيد الاحتمال وذلك نظرا لبهاظة تكاليف الأوكسجين والايدروجين النقيين وعدم ملاءمتهما للخزن . غير أن هناك محاولات علمية يعكف العلماء على دراستها في الوقت الحاضر ترمي الى استخلاص الايدروجين من الميثانول (Methanol) واستخدامه كمؤكسد في احدى خلايا الوقود . وفي سبيل هذا الغرض يكرس المهندسون مجهودا ضخما في البحث عن مركبات زهيدة التكاليف نسبيا مثل الميثانول أو أي من الهيدروكربونات السائلة (كالبنزين والكيروسين) التي يمكن استخدامها كمحروقات لتشغيل خلايا الوقود التي تعمل على درجات حرارة منخفضة ، بدلا من الايدروجين .

وعلى الرغم من الصعوبات التي تعترض العلماء ازاء تطوير خلية الوقود ، فان هناك تقدما ملموسا احرزته بلدان عديدة من العالم في هذا المضمار . ففي بريطانيا مثلا ، قام علماء مركز الابحاث التابع لشركة شل في ثورنتون بانتاج خلية وقود لحساب وزارة الطيران البريطانية ، وقد جربت فعلا في تشغيل مطرقة كهربائية خاصة بتحطيم الخرسانة .

وهـذه الخلية صغيرة بحيث يمكن تركيبها في سيارة يبلغ وزنها ثلاثة أرباع الطن . وهي تتألف من مجموعتين في كل منهما ٦٢ خلية ، أما الوقود الذي تستخدمه فهو الايدروجين . وتتراوح نسبة قدرتها الحرارية الفعالة بين ٥٠ و ٦٠ في المائة ، وطاقتها الانتاجية بين ٤ و٥ كيلوواط .

وتدل النتائج التي أسفرت عنها التجارب الآنفة الذكر على أن كفاءة خلية الوقود تفوق كفاءة مولد الكهرباء الذي يعمل بقوة البنزين ، وتضاهي ، في الوقت نفسه قوة المولد الذي يعمل بقوة الديزل . وبالاضافة الى ذلك فهي أقل ضجيجا من أية وحدة أخرى مولدة للكهرباء .

ان الأبحاث التي تجري في بريطانيا بشأن تطور خلية الوقود ليست كلها مقصورة على مركز الأبحاث في ثورنتون ، بل هناك مؤسسات أخرى تشارك في هذا المضمار . ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا ، قامت شركة « اسو » للأبحاث والهندسة بتصميم خلية وقود لحساب قيادة الأجهزة الالكترونية التابعة للجيش الأمريكي ، استخدمت في بعض المعدات العسكرية اللاسلكية والرادارية . وتبلغ طاقة هذه الخلية ١٠٠ واط ، وتعمل على حرارة مقدارها ١٤٠ درجة فرنهايت . أما النسبة القصوى لفعاليتها فتبلغ ٤٠ في المائة ، والمتوسطة ٢٣ في المائة .

هذا ، وتجري الآن ، على نطاق تجريبي ، اختبارات عديدة على خلايا الوقود المزمع تركيبها في مركبات الفضاء الأمريكية بما فيها « أبولو » الـذي تقرر اطلاقه الى القمر عـام ١٩٧٠ . ومهمة هذه الوحدات أو الخلايا توليد الطاقة الكهربائية اللازمـة لتشغيل الأجهزة والمعدات الخاصة بشبكات المواصلات الفضائية ، كـما جرى في السنوات القليلة الماضية ، تطبيق استعمال خلية الوقود في تشغيل الرافعة ذات الشعبتين والجرارات الصغيرة الحجم . وقد صرح أحد كبار الخبراء الأمريكيين في شؤون خلية الوقود بأنه في غضون السنوات الأربع المقبلة ، ستزاحم الخلايا التي تعمل بالغاز الطبيعي خلايـا الوقود الأخرى ، من الناحية الفنية ، وستستخدم في تسيير الغواصات وسيارات النقل البري ، ومعدات اللحام المتنقلة . كما ستغدو مصدرا مهما لتوليد الطاقة اللازمة للأغراض الصناعية والمنزلية وغيرها من الأغراض العديدة المختلفة . لقد كان لهذا التصريح العلمي صدى كبير في بعض الأقطار

الأوربية . فالسويد مثلا ، شرعت في انشاء خلية وقود لاستخدامها في الغواصات الصغيرة .

ومن بين مراكز الأبحاث الأخرى التي تعنى اليوم بالمساهمة في تطوير خلايا الوقود فرع أبحاث شؤون الطيران التابع لادارة التموين في استراليا . وهـذا الفرع مهتم غاية الاهتمام ببناء خلية تستخدم الميثانول أو أي من الآيدروكربونات السائلة كوقود للاستفادة منها ، بالاضافة الى الاجهزة الأخرى ، في تأمين الطاقـة الكهربائية اللازمة لتقوية الخطوط الهاتفية في المناطق النائية . وهـذه المحطات تزودها ، بالطاقـة ، في الوقت الحاضر ، مولدات تعمل بالديزل ، أو بقوة الريح . وكلا النوعين يتطلب عناية وصيانة أكثر مما تتطلبه خلية الوقود نفسها . ويأمل المسؤولون في انتاج خلية أخرى أكثر فعالية تعمل بعدة أنواع مـن المحروقات بما فيها الغاز الطبيعي والكيروسين . ولعل اكتشاف الغاز الطبيعي مؤخرا في مناطق عديدة من استراليا كفيل بتحقيق هذه الغاية .

ومن بوادر الاحتمالات التي تبشر بمستقبل زاهر لخلية الوقود وامكان استعمالها على نطاق واسع ، تطلـع العلماء الى استخدامها في السيارات بدلا من المحركات ذوات الاحتراق الداخلي . ويعزز هؤلاء العلماء أملهم بامكانية صنع محركات ، في الوقت الحاضر ، تعمل بخلية الوقود ، وتنافس في كفاءتها وقدرتهـا وتكاليفها بل تفوق في بعض خواصها ، المحركات التقليدية ذوات الاحتراق الداخلي . ومن مميزات السيارة المرتقبة ذات خلية الوقود ، انها لا تحدث ضجيجا أو ضوضاء أثناء سيرها ولا تهتز .

هنالك نماذج عديدة من هذا النوع من السيارات جرى تصميمها في الولايات المتحدة الأمريكية . وأكثر هذه النماذج شهرة هو ذلك الذي قام بتصميمه وعرضه قسم « دي سوتو » التابع لشركة «كرايسلر» الأمريكية . ويطلق على هذا النموذج اسم (دي سوتو سلا — ١) (De Soto Cella-1) . وهو يشتمل على محركات كهربائية أربعة خفيفة الوزن يتولى كل منهما تسيير عجلة خاصة من عجلات السيارة الأربع . وبالاضافة الى ذلك ، يتضمن النموذج بطاريات احتياطية خفيفة الوزن مهمتها اختزان الوقود الفائض والناتج عادة عن بطء سير السيارة .

ومن ميزات هذه المحركات الأربعة المثبتة بالقرب من عجلات السيارات انها مزودة بأجهزة للضبط تتحكم في تشغيلها وتوجيهها على التتالي أو على شكل متواز لا سيما أثناء السرعة العالية وفي المنعطفات الخطرة .

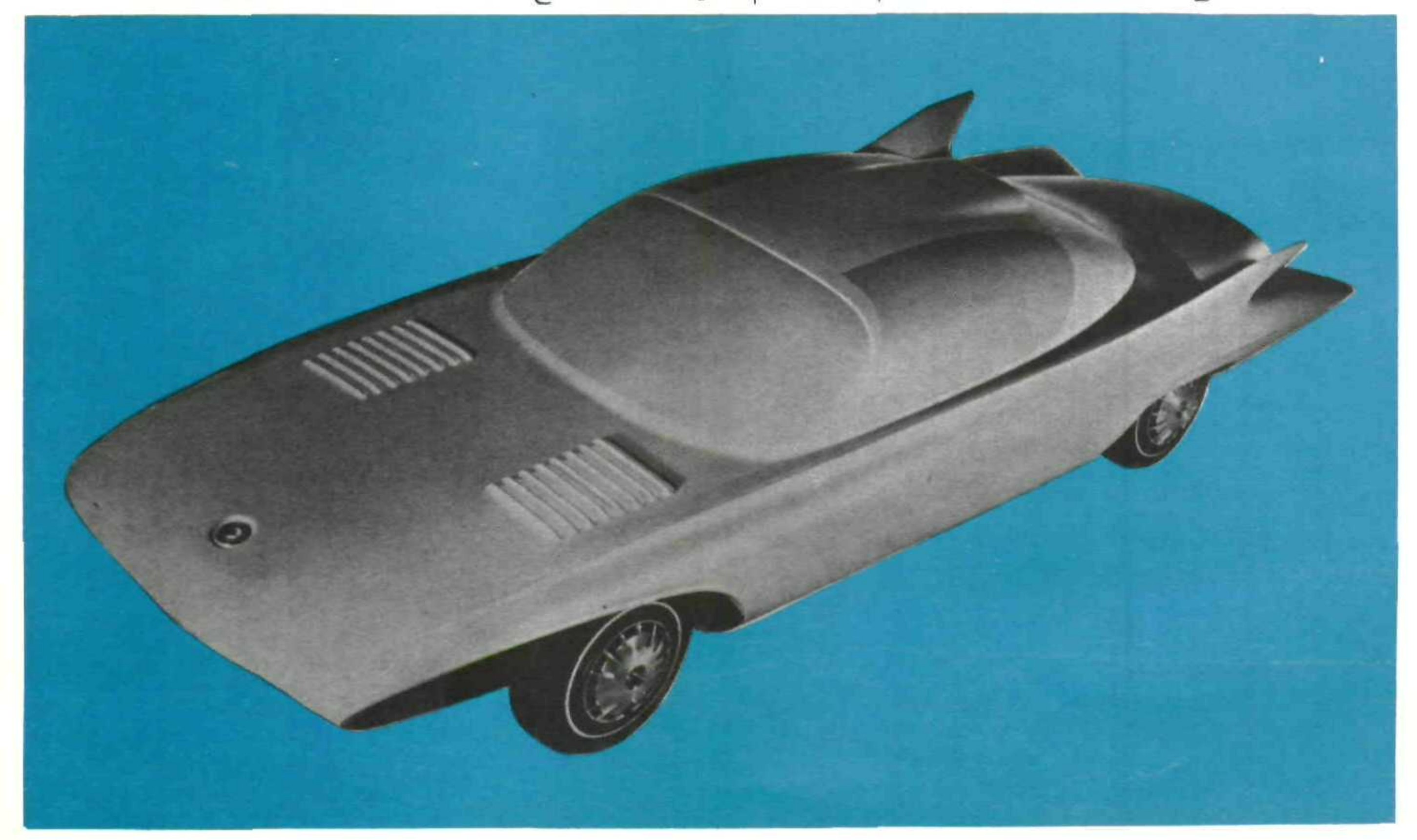
هذا ، وتمتاز السيارات ذوات خلايا الوقود على السيارات التقليدية ، بالسرعة ، والهدوء ، وقوة الدفع ، والقدرة الفرملية ، وخلوها من الدخان والأبخرة ، مما يساعد على تحقيق سياقة أسلم .

ولعتقد المسؤولون لدى معظم مراكز الأبحاث بأن تحسينات عديدة قد تطرأ على تصميم خلية الوقود وفعاليتها وطرق استخدامها والانتفاع بها في مجالات عديدة في نهاية الستينيات من القرن الحالي . ويأمل المعنيون بالأمر في أن خلية الوقود التي داعبت أخيلة الكثيرين من مهندسي التصميم منذ ظهور ابتكار « بيكون » البريطاني قبل ست سنوات ، ستغدو بمرور الزمن أحد الاختراعات العلمية البارزة التي سيكتب لها النجاح والرواج في مختلف الميادين والمجالات .

عن مجلة « بترليوم غازيت » باذن خاص

ترجمة : عوني ابو كشك

نموذج لسيارة خلية الوقود المنتظرة قام بتصميمه قسم « دي سوتو » التابع لشركة « كرايسلر » الامريكية .



تأملات في كتاب

بقلم : الاستاذ ضياء الدين رجب

هذا الكتاب أصدرته دار الهلال ، وهو جدير بالعناية التي أحيطت به . وبالتقدمة الرائعة التي قدمت له .

وقبل أن أشرك القراء معي في أحاسيس المتعة التي نعمت بها وأنا اسرح الطرف في رياضه الأريضة ومفاتينه المتوهجة وآفاقه الواسعة العريضة – يهمني أن أضع قبلي اعجاب المعجبين الذين كان لهم الفضل في اثارة تقديري وبلورة شعوري ، بين يدي هذه النجوى الخافتة مني ، الى هذا المؤلف النابه الذي اعتبر من أول دلائل عمقه ، كلمة اهدائه الصغيرة التي صدّر بها كتابه في هذا النص الرائع حيث يقول « الاهداء الى الاستاذ العبقري الأول مؤلف ألف ليلة » .

انها عبارة من عرف الفضل لأهله . ولا يعرف الفضل الا ذووه .

ثـم جاءت مقدمة دار الهلال لتعود بالبحث الى ثلاثين عاما خلت يوم نادى الدكتور طه حسين في الجامعة وخارج الجامعة بدعوته الرائدة الى تلقيح ثقافتنا العربية بالثقافة اليونانية العريقة ، لأنـه يراها الدعامة للثقافة المعاصرة في العالم كله . ثم تنعطف المقدمة ، الى الأستاذ دريني خشبة الذي تعتبره دار الهلال أول من تأثر بفكرة الدكتور طه حسين وتحمس لها ، وعمل على تحقيقها . وان كتابه

«أساطير الحب والجمال عند الاغريق»

هذا هو ثمرة تلك الفكرة ونتاجها الرائع .

أما الأستاذ دريني خشبة ، الذي ودع هذا العالم الى دار البقاء في ١٠ يوليو سنة ١٩٦٤ فيقول رحمه الله :

« ان هذا الكتاب ، يمثل طائفة من الأحلام اليونانية الرائعة . وانه أحب أن يسجلها لقراء العربية ، وهي الأحلام التي طالما سمعوا بها . وداعبت خيالهم ، وغازلت أحلامهم » على حد تعبيره الشيق في بيانه الرفيع .

ويقول الأستاذ المؤلف ان الاستاذ الانجليزي الكبير «توماس بلفش » . هو الذي أغراه اغراء شديدا بروايته « هوميروس » في ملحمتيه العظيمتين « الأليـاذة والأوديسة » .

لقد قرأت هذا الكتاب فاستمتعت بأربع وعشرين أسطورة من أساطير الحب والجمال عند الاغريق . وبعض الأساطير معروفة الأبطال مثل كيوبيد ، وفينوس وأرفيوس . وبجماليون ، وبندورا ، وهرقل وكثير غير هؤلاء لم تصل شهرتهم شهرة أولئك البارزين .

ولقد سرتني هذه الرجعى من أساطين الأدب الى الحقيقة التائهة بين بهرج الحضارة وأدبها الجديد وفنها الحديث ، وهي التي تقيم الدليل تلو الدليل على أن الرواية والقصة عريقة عراقة الزمن ، تليدة تلادة الآباد والأحقاب ، وانها الأصل الأصيل لكل ماجد أو تنوع في فنونها . وما تطور وتفرع من شئونها وغصونها :

فالأساطير والخرافات ، التي انسرح فيها الخيال وانطلق من أجل أن تمتد الآفاق أمام الكاتب لا يحدها حد ولا يقيدها قيد ، وينتعش الأخصاب ويزدهر . ومن هنا يتولد الاغراء والتشويق فتحلو الأسمار ، وتتفتح الأذهان على ما تميل اليه الطباع ، وتنسرب مع الامتاع والمؤانسة العظات والعبر في طرفة رائعة ، أو حكاية شائقة آسرة .

والحكايات الطويلة ، التي تسلسلت فيها الرواية ، والأسانيد ، والشخوص . والأبطال ، أشرق عليها الفكر الجديد فسماها الرواية أو القصة الطويلة على فروق دقيقة استمدها الفن اليوم ، من تلك الأعراق القديمة والأنفاس البعيدة .

فاذا بدأنا بقصص القرآن الكريم ، ثم بالأسانيد النبوية في الأحاديث ، وجدنا أن ذلك هو المهاد لمن شق هذا الطريق في حكايات عنترة ، وسيف بن ذي يزن ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني .

وعندما نرسل نظرة على القصص الحديث كله ، لدهاقينه ، وعباقرته في الشرق والغرب ، يملؤنا الفخر ، ونحن نشهد الملامح والسمات ، والمغازي والأهداف ، متداخلة متقاربة ، لا يكاد يميزها شيء غير تطور الأساليب ، وبرقشة الاطارات . ولا نريد ان نبعد في المقارنة بل لنشهد : المشابه المتلاحمة بين « دانتي » و « أبي العلاء » . والتاريخ وحده هو الحكم بالنسبة للسبق الزمني .

فهذه الظروف القريبة كلها أعادتني الى رأي قديم لي أعلنته قبل ثلاثين عاما . حيث قلت :

ألا نتحجر واسعا في القصة والا نضع العراقيل والصعاب في وجوه من يحاولون ممارستها بهذه العقد التي وضعها الفن الجديد والعقبات التي ابتدعها حتى نجح . فلم يعد للقصة شأن كبير الا للقلة الذين كرسوا لها حياتهم بين قيود الجديد وشروطه. ولم يصلوا بعد ، في نظر الأكابر ، الى المستوى الذي اقتعد ذروته أفذاذ عالميون يعدون على الأصابع . فلو انطلق كل من يجد في نفسه ميلا الى القص والحكاية بأسلوب حلو ممتع ، يحكي فيه واقعا أو واقعة ، ويصور حادثا أو حادثة من غير أن يزحم نفسه بالاغراق في نسج الخيال واصطناعه في كلفة المتصنع ، لانفسح المجال على طبيعته . فالحياة مليئة بالصور والوقائع والابطال في كل حركة وفي كل فكرة وفي كل سانحة . فليس في الوجود خيال لا يمثل حقيقة أو واقعا . فالظلال

كلها منعكسة عما وراءها والانسانية كلها روح وبدن .

ولقد قرأت فيما قرأت ان قاصا كبيرا لا أذكر اسمه ، سئل : كيف تعلمت القصة ؟ فقال : كان لي ابن صغير لا ينام الا عندما أحكي له حكاية . وكنت أؤلف له كل ليلة كما يتفق لي وكما يخطر على بالي .

ثم طرأ لي طارىء سفر ولشدة تعلقه بحكاية ما قبل النوم ، طلب اليّ أن أرسلها اليه حيث يقرأها قبل أن ينـــام ويتصورني الى جانبه فكأني أحكيها لـــه بذاتي كالعادة . وقبلت شرطه وسافرت . وأخذت أكتب على سجيتي وبلا تكلف . وأرسل له .

وطالت الغيبة ، فتكونت لديه مجموعة . وفي يوم من الأيام طلب اليه صديقه ، وقد رآها ، اعارتها له ليقرأها ولم يبخل بها . ورآها والد صديقه الصغير . وكان صاحب دار للنشر ، فاستوضحه عنها . وأجابه بأنها لصديقه يكتبها له أبوه الغائب . ويرسلها . وأخذ الناشر عنوان الأب . وكتب اليه عن اعجابه بها واستأذنه في طبعها لقاء مبلغ كبير . فأجابه بحقيقة المسألة وانها لا تستحق كل هذه العناية ولكن الناشر كتب اليه يقول :

ان سر نجـــاحك البســـاطة وعدم التكلف ، وهما الركيزة الكبرى في النبوغ القصصي . وفعلا نشرها الناشر ، ونالت حظا باهرا جعل صاحبها فيما بعد في طليعة كتاب القصص للأطفال .

وأخيرا : رحم الله المؤلف الأستاذ دريني خشبة فقد أمتعني . وحرك كوامني . وأعادني الى الحنين من جديد .

حـــاول أن تجيب

— ١ —

أ — ماذا يطلق على شفة البعير ؟
ب — ماذا يطلق على شفة الفرس ؟
ج — ماذا يطلق على شفة السبع ؟

— ٢ —

من هو قائل كل من الأبيات التالية :

أ — عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم بأمر فيك تجديد
أمـــا الأحبة فالبيداء دونهـــم
فليت دونك بيـــدا دونهـــا بيد

ب — كأن عيني لذكراه اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين ، مدرار
تبكي لصخر ، هي العبرى وقد ولهت
ودونه من جديـــد الترب أستار

ج — طـــال الثواء على رسوم المنزل
بـــين اللكيك وبين ذات الحرمل
فوقفـــت في عرصاتهـــا متحيرا
أسل الديار كفعل من لم يذهل

— ٣ —

أ — من هو أعظم فيلسوف مسلم عرف في الغرب بـ « الشارح » كما عرف أرسطو بـ « المعلم » ؟
ب — من هو أول شاعر نظم الشعر الديني في الاسلام ؟
ج — من هو أول مسلم صنع أسطرلابا ؟

— ٤ —

ما هي مدة خلافة كل من الخلفاء الراشدين ؟
أ — أبو بكر الصديق .
ب — عمر بن الخطاب .
ج — عثمان بن عفان .

(الأجوبة على الصفحة ٣٤)



راضيا بالوعد

للشاعر : طاهر زمخشري

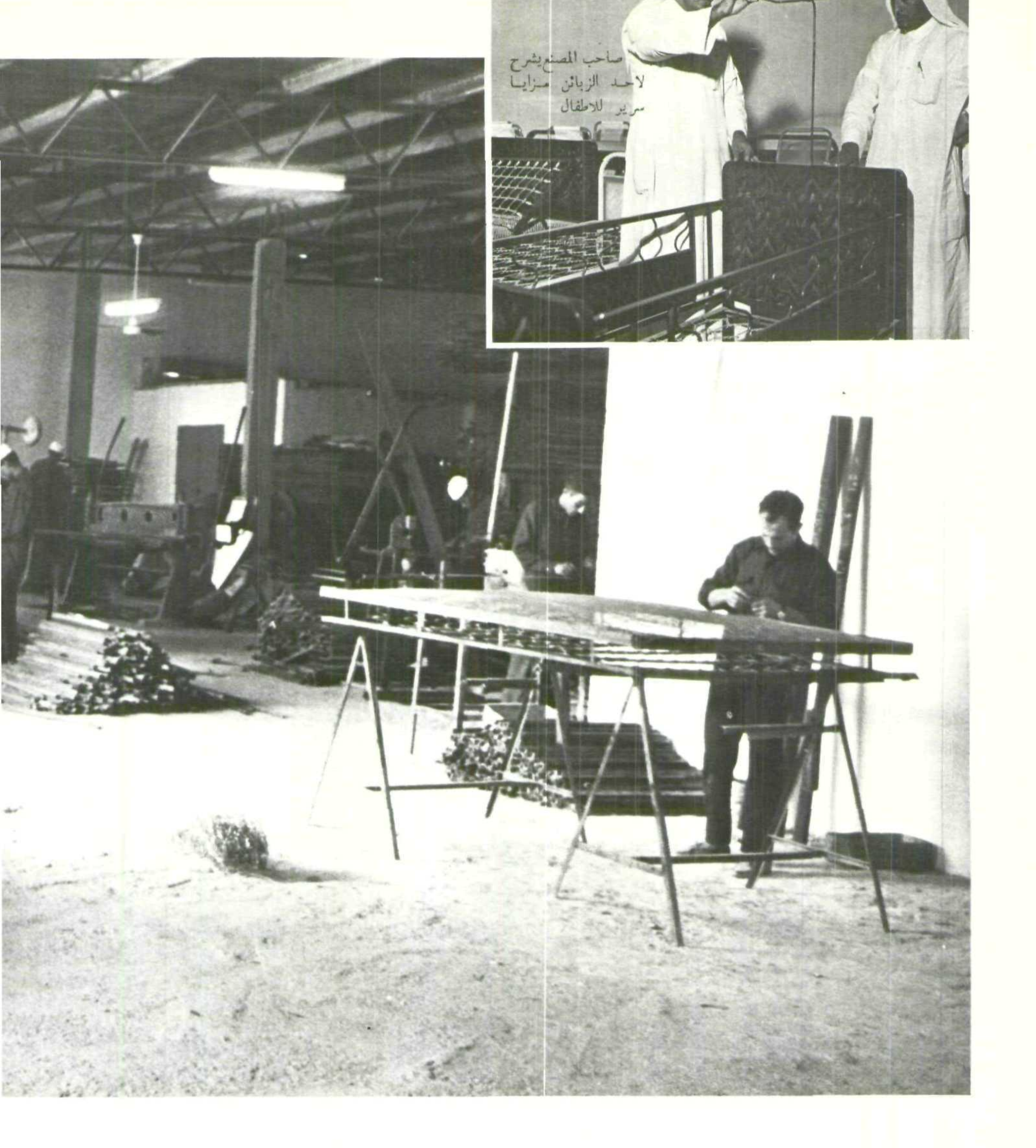
أسفرت والحسن في بردتها — يترامى بين أفواف الزهر
ويلم الليل في جبهتها — ويندى بالشذا وجه القمر
أشعلت فينا لظى صبوتها — عندما جادت وفاضت بالدرر
تسكب النشوة من نبرتها — وتعيد اللفظ همسا بالنظر

* * *

خلتها لما تبدت قمرا — أين للأقمار اغراء الحور
وبما تحمل تاهت خفرا — وتحدت بالخطى صوت الوتر
وتهادت ، وهي تجلو صورا — نظم الحسن رؤاها ونثر
والى العشاق مدت نظرا — جفنه صال وجال وأسر

* * *

وعلى أعطافها راح السنا — ينسج الفتنة ثوبا للخفر
وفؤادي كاد يفني شجنا — واكتوى بالبعد منها فانفطر
كان باللوعة يذويه الضنا — راضيا بالوعد منها فصبر
وعلى الوعد تعاطيه المنى — ويعزيه التمني بالسهر



صاحب المصنع يشرح لاحد الزبائن مزايا سرير للاطفال

مصنع الأسرة والفرش في الرياض

النوم ضروري للانسان ويستأثر بشطر كبير من حياته . وقد تعدى بعضهم في تصنيفه حد ضروريته ، الى مستوى الرفاهية ، وعده بعضهم متعة من متع الحياة ورابع أربعة من عناصر الرفاهية التي يحسد عليها المرء ان رافقه المكان المناسب والفراش المريح . فقد يقال في وصف مقومات السعادة والرفاهية : « الطعام الشهي الهني ، والمنظر البهي ، والماء النمير ، و الفراش الوثير » .

يجد الزبون بانتظاره في صالة عرض معمل الأسرة والفرش في الرياض أسرة وفرشا وكراسي وطاولات ودواليب ومكاتب وغيرها من قطع الأثاث الحديدية المتينة ، ليختار منها ما يناسبه ويحتاج اليه بأسعار تنافس أسعار قطع الأثاث المماثلة المستوردة من الخارج . ان مثل هذه المنتجات والكمية المباعة في السوق لدليل واضح على مستوى الرفاهية التي وصل اليها المستهلك السعودي .

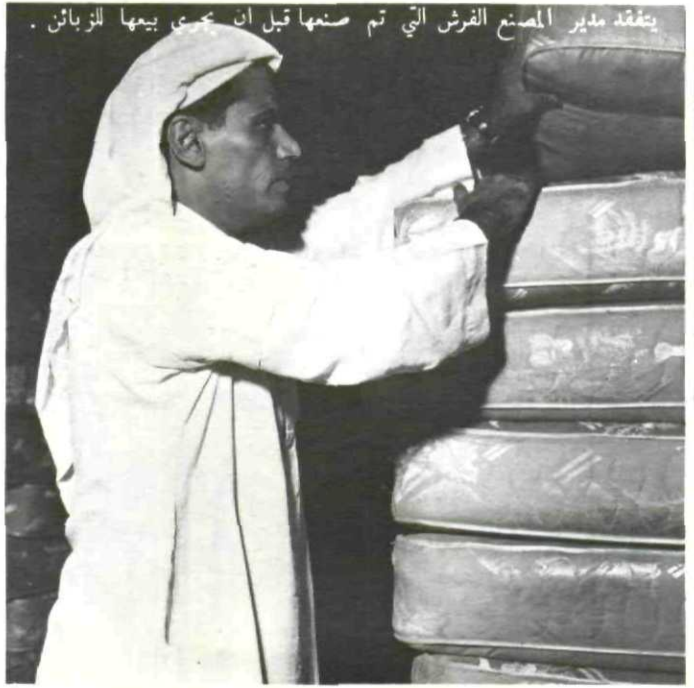
أقسام المصنع

المصنع قسمان ، أحدهما لصناعة المنتجات الحديدية والآخر لصناعة الفرش . ففي قسم صناعة المنتجات الحديدية تجد الألواح والأنابيب الحديدية العادية تتناولها أيدي العمال المهرة ، فتفصلها حسب القياسات المطلوبة ، ثم تقطعها وتلويها وتكيفها مستخدمة في ذلك الآلات الضرورية لكل مرحلة . بعد ذلك تشرع في تجميعها بدقة وعناية واحكام لتغدو في غضون نصف ساعة فقط سريرا أو دولابا أو كرسيا أو خلافها من المنتجات الحديدية حسب الغرض الذي أعدها الصانع من أجله . بعدئذ ترسل القطعة هذه الى غرفة الدهان ، فتطلى باللون المطلوب الذي يقيها من الصدأ ويجعلها تبدو جميلة المنظر ، وبذلك تمسي هذه القطعة تامة الصنع جاهزة للبيع ، فترسل الى صالة العرض أو تحفظ في المستودع الى حين .

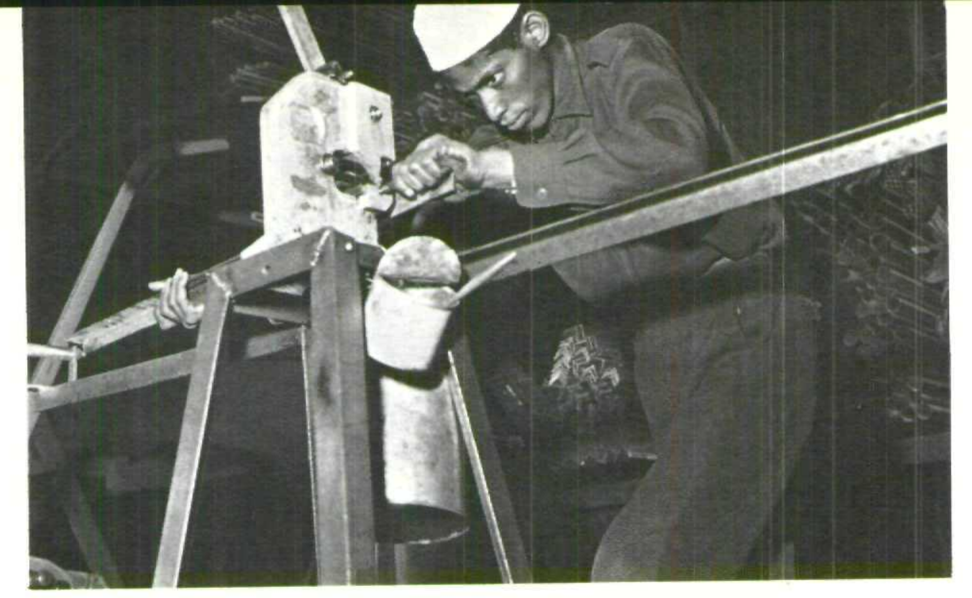
أما في قسم صناعة الفرش ، فيجري العمل على النحو التالي :

يأتي القطن وألياف جوز الهند على شكل بالات مستوردة من الخارج ، فتتناول الآلة القطن أولا وتندفه ثم ترصه وتضغطه على شكل ألواح تساوي في عرضها وطولها قياس الفراش المطلوب . ويبلغ سمك اللوح حوالي خمسة سنتيمترات . فيلف العامل هذه الألواح على شكل لفافات كبيرة جاهزة للتصنيع . وتتناول





يتفقد مدير المصنع الفرش التي تم صنعها قبل ان يجري بيعها للزبائن .



عامل يقطع الزوايا الحديدية حسب المقاييس المطلوبة .

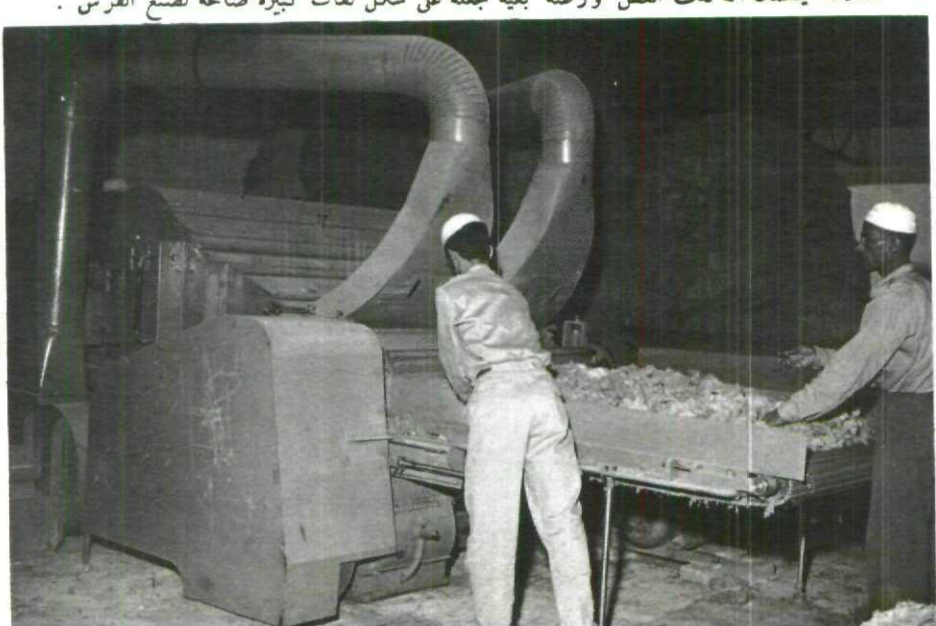
عامل يجمع اجزاء السرير بنشاط ومهارة .



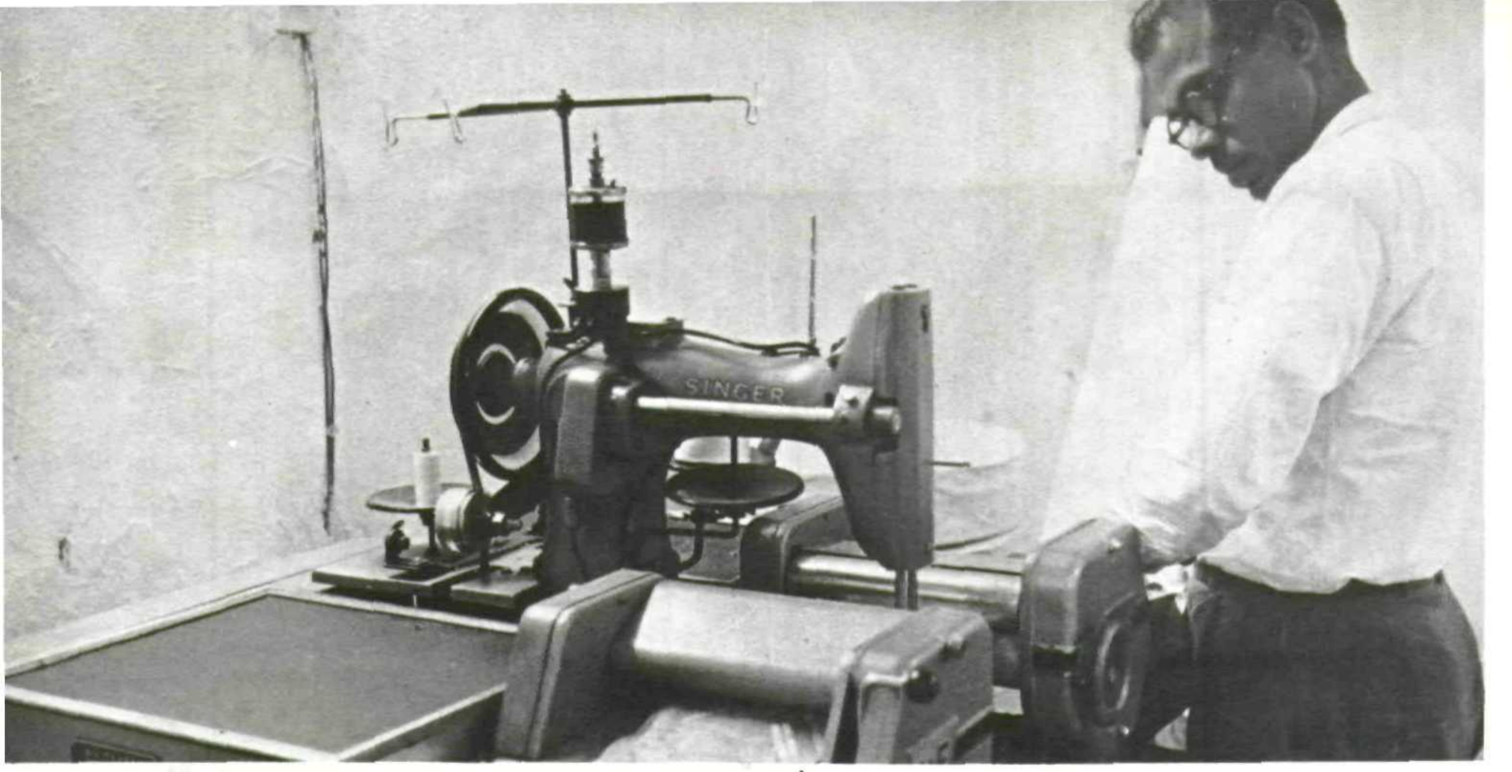
آلـة ثانية ألياف جوز الهند ، تندفها ، ثم تخيطها على قماش من القنب (الخيش) . بعدئذ ترسلها الى المقطع الآلي فيقصها الى قطع متساوية حسب مقاييس معينة أيضا . بعدئذ تبدأ مرحلة التجميع ، فيقوم العمال المختصون بربط رفاصات الحديد الصلب اللينة من أعلى وأسفل بطبقة من ألياف جوز الهند المبطنة بالخيش ، ثم بطبقة من ألواح القطن المضغوط السابق الذكر . أثناء ذلك يكون الخياطون قد فصلوا أغطية القماش ، فتلبس الفرش بها ثم تخاط وتزرر لتمسي جاهزة للبيع والاستعمال مع السرير أو بدونه .

المصنع وطاقته الإنتاجية

عاملان يلقمان آلة ندف القطن ورصه بغية جعله على شكل لفات كبيرة صالحة لصنع الفرش .



المصنع مؤسسة فردية يملكه السيد عبد المحسن أبا نُمي . وقد قام بتأسيسه في أوائل عام ١٣٨٤هـ برأسمال قدره مائتا ألف ريال سعودي . وبعد معاناة الكثير من المصاعب والمتاعب ولا سيما فيما يتعلق بتأمين الأيدي العاملة الفنية ، باشر المصنع عمله في أواخر شهر جمادى الثانية من العام نفسه . ثم تطور تطورا ملموسا حتى أصبح في أقل من سنة واحدة ذا رأسمال قدره مليون ريال سعودي تقريبا ، وأصبح ينتج حوالي خمسين قطعة من قطع الأثاث الحديدية وحوالي ٤٠ فراشا يوميا ، وباستطاعته



يفصل الخياط القماش المتين لتغطية الفرش ثم يخيطه حسب المقاييس المطلوبة .

لدى ازدياد الطلب رفع طاقة انتاجه الى حوالي مائة فراش ومائة قطعة من المنتجات الأخرى . يعمل في المصنع حاليا ٢٢ موظفا عشرة منهم في قسم صناعة الفرش ، والبقية في قسم صناعة الأسرة .

مخططات المصنع للمستقبل

ذكر مدير المصنع أن هنالك عدة آلات ينوي استيرادها وذلك للاستغناء عن استيراد بعض المواد الأولية مصنوعة جاهزة . فالمعمل مثلا يستورد الرفاصات التي تحشى بها الفرش بينما لو توافرت لديه الامكانات والآلات اللازمة لاستطاع بسهولة صنع هذه الرفاصات في المصنع بتكاليف أقل بكثير من تكاليف استيرادها من الخارج ، وبذلك تنخفض تكاليف صنع الأسرة والفرش فيصبح بامكانه تسليمها للمستهلك باسعار تضمن للانتاج الاقبال فالرواج .

وقبل انهاء حديثنا عن هذا المصنع الفتي يجدر بنا ذكر المساعدات الفنية والمعنوية والمادية التي تقدمها وزارة التجارة والصناعة له . ولا سيما اعفاء جميع المواد الأولية التي يستوردها من الخارج من الضرائب والرسوم الجمركية . وهذا ضمن برامج الوزارة لتنشيط الصناعة في المملكة العربية السعودية .

بعد تغطية الرفاصات بالقنب والقطن ، تغطى بالغطاء المعد لها وتخاط اطراف الغطاء او تثبت بأزرار لتصبح بعدئذ فراشاً مريحاً جاهزاً للاستعمال .

تصوير : عبداللطيف يوسف



عنترة

بقلم : الاستاذ قدري قلعجي

في بقعة من بقاع الصحراء المتحفزة أبدا تحفز الرمال المتلاعبة على فسيح صدرها ، حيث تشتعل الأرض بحرارة الشمس ، وتحتدم بعنف الدارجين عليها في نفوس يثيرها غرام مجنون بالطعن والنزال ، والكر والفر ، والمصاولة والمجادلة ، حتى اذا سمعت عذب الصوت أسلست من قيادها راضية صافية . وقلوب تهتز لنفحات الشهامة والوجود ، وتطرب لمعاني النجدة والبطولة ..

وفي هدأة ساجية ، صافية صفاء النفس العربية في حال انسجامها ، وربوع بني عبس هادئة وادعة ، اذا بخيول العدو تقتحم الحي الآمن ، ولا تلبث ان تنقض عليه انقضاض السيل الجارف ، بهجمة خاطفة ، تستاق أمامها المواشي ، وتشد وراءها السبايا .. وينادي المنادي :

— النجدة .. النجدة .. الى صهوات جيادكم يا فرسان عبس !..

والتفت شداد بن عمرو ، أحد وجوه القبيلة ومتقدمي ساداتها ، الى شاب أفلح أسود الأهاب ، مفتول الساعد ، صارم قسمات الوجه ، يتنازع نفسه أكثر من عامل ، وتحتدم أعماقه بثورة مكبوتة ، ونفسه تتلظى همة للوثوب على صهوة جواده ليندفع به دفعة تجوز الخيول العدوة ، تدور بها مزلزلة أو تشقها ممزقة .. ومع ذلك يلبث الشاب ساكنا جامدا ، يدفع عن مخيلته فكرة الطراد ، حتى اذا التقت عيناه بعيني ذلك المكتهل على المروءة ، صافحت أذناه الكلمة التي اياها ينتظر ، والعبارة التي عليها يتلهف :

كرّ يا عنترة ..

وكاد الشاب أن يفعل تلبية لنداء أعماقه ، لكنه تماسك ورد ببرود : العبد لا يحسن الكر ، انما يحسن الحلاب والصر .. ولم يتردد الكهل وهو يرى الى حراجة الموقف ، فقال : كرّ وأنت حرّ ..

ولم يأت شداد على هذه الجملة حتى كانت الخيول العدوة تتباعد مجفلة بعضها عن بعض .. واذا بقبيلة عبس تشهد أفاعيل بطل من أبطالها ، ولد وترعرع على الرعي والمراح والسراح بالمواشي . وكانت هذه الحادثة ميلاده الثاني ، اذ حرره أبوه من العبودية بعد أن شب عليها ، فكان كذلك ميلاد شاعر من شعراء العرب وفارس من فرسانهم ، يتخطى حدود التاريخ ليدخل أجواء الاسطورة ، اذ حيكت حول شخصيته ملحمة العرب الكبرى . « سيرة عنترة » التي عدّها الكثيرون من نقاد الفرنجة « الياذة العرب » ..

وهكذا فان عنترة بن شداد قد غدا أحد مشاهير فرسان العرب ، وأشهر مشاهير بني عبس ، قوة ساعد وشدة شكيمة ... وجمع عنترة المجد من طرفيه ، فأضاف الى نفاذ سهامه وشدة حسامه ، تدفق لسانه بالشعر يصف ما يفعل سيفه بأعداء قبيلته ، وها هو يقص علينا حكاية قتله « جرية العمرى » أحد أفراد بني الهجيم ، وكيف ترك ذويه يطوفون به . وقد أنفذ فيه سهمه القاتل لا محالة لأنه منطلق من يد البطل النجيد :

تركت بني الهجيم لهم دوار — اذا تمضي جماعتهم تعود
تركت جُريّة العمرى فيه — شديد العير معتدل سديد
فان يبرأ فلم أنفث عليه — وان يُفقد فحُقّ له الفقود
وهل يدري جرية أن نبلي — يكون جفيرها البطل النجيد

والى القارىء لوحة ثانية يقوم فيها عنترة بدور الراوية ، وما أكثر ما روى على لسانه ، وأضيف الى صفحة حياته من صفحات تليها صفحات .. وتمثل اللوحة فارسين اثنين هازما ومنهزما ، وقد اعتلى الهازم واسمه « ورد » جوادا صلبا كأنما قدّ من صخر ، واستل حساما هو الشعلة المتقدة ولم يطل الأمر بالطراد اذ كان المنهزم — ويلقب بأبي نوفل — على الأرض ، يجر نفسه جرا . وقد اشتبكت في جسمه

الرماح .. كما لو وقع المحتطب تحت عبء فادح :

وغـادرن نضلـة في معـرك — يجـرّ الأسنة كالمحتـطب
فمن يك فـي قتله يمـترىً — فان أبـا نوفل قد شَجَبْ
يُذَبّـب ورد عـلى اثـره — وأدْرَكَهُ وقـع مُرْد خَشَبْ
تتابـع لا يبـتغـي غـيره — بأبيـض كالقبس الملتـهب

وعلى الرغم من أن عنترة غدا أحد حماة قومه ، وواحدا من ألسنتهم ، قوالا فعّالا ، فان عقدة اللون ظلت تعمل عملها في قلوب حساده من الشباب ، وتحفر في وجوه قبيلته ، حتى ان زعيمها قيس بن زهير لم يسلم من هذه العقدة ..

ويلتفت هنا لأولئك العرقيين ناشرا لهم صفحة حسبه ونسبه ، بزواج أكرم أرومتين : الأرومة العبسية لجهة أبيه ، والانتماء لفرند السيف الذي فيه عزيمته .. حتى اذا جد الجد وأحجم أفراد الكتيبة عن خوض غمار المنية ، نشر ابن الأمة على حد حسامه صفحة نسبه المعنوى فكان خير معمّ مخول :

اني امرؤ من خير عبس منصبا — شطرى ، وأحمي سائري بالمنصل
ان يلحقوا أكرر ، وان يستلحموا — أشدد ، وان يلفوا بضنك أنزل
واذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت — ألفيت خيرا من معـَمّ مُخوَل
والخيل تعلم والفوارس انـنـي — فرّقت جمعهم بطعنـة فيصلَ
والخيل ساهمة الوجـوه كأنما — تسقى فوارسها نقيـع الحنظل

ثم يقول الكلمة الفصل التي تصور جانبا من نفسيته المترفعة عن الصغائر والتي تؤثـر له البقاء على الطوى لا يمد يمينه الا الى كريم الزاد ، معرضا في الوقت نفسه بذلك الشره البطين :

ولقد أبيت على الطوى وأظلّـه — حتى أنال بـه كريم المأكل

وها هو عنترة يقف على دار المحبوبة يستنطقها ويبثها لاعج الشوق والحنين ، وقد رحلت المحبوبة عنها فأصبحت طللا تقادم عليه الزمن فاقفر ، وحلت هي بأرض قوم اعداء أشداء ان تكلموا فالزئير صوتهم .. بيد أن عبلة ان بعدت وشط بها المزار ، فهي ساكنة أبدا بين ضلوعه ، يتخيلها وكأنما تنظر اليه بعيني الرشا الجميل ، ويتردد نفسها عن قارورة من الطيب ، لأنها الروضة الأُنُفْ جمالا وتنوع أزهار ،ناعمة مسلّمة أبدا مرفقها الى ليّن الحشايا ، في حين لا يبيت هو الا فوق كل جواد أدهم :

يـا دار عبلة بالجواء ، تكلمي — وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
حييت من طلل تقادم عهـده — أقوى وأقفر بعد أمّ الهيـثم
حلّت بأرض الزائرين فأصبحت — عَسِرا عليّ طلابك، ابنة مخْرم
علقْتُها عـرَضا ، وأقتل قومها — زعماً ، لعمر أبيك ليس بمزعم
ولقد نزلت — فلا تظني غيره — مني بمنزلة المحبّ المكـرّم
وكأن فـارة تاجـر بقسيمـة — سبقت عوارضها اليك من الفم
أو روضة أنُفاً تضمّن نبتَـهـا — غيثٌ قليل الدّمن ليس بمَعْلَم
تمسي وتصبح فوق ظهر حشيّة — وأبيت فوق سراة أدهـم ملجم
وحشيتي سرجٌ على عبل الشّوى — نهد مراكِلهُ ، نبيلِ المحزم

ويعود الشاعر يتطلع الى دار الحبيبة من بعيد ، راكبا اليها ناقته التي يتغنى بأوصافها ، حتى اذا تراءى له انه بلغها خاطب ساكنة الفؤاد ، التي أسدلت خمارها من دونه وهو البطل الذي يتخطف أرواح الفرسان ، وكم جلل بسيفه رأس فارس كمي فغدت زوجه أيّما .. فلتسأل الخيل وفرسانها عن أعماله في ميدان المعركة ، وهـو يندفع بجواده للطعان ، وقد انصبت عليه طعنات الأعداء ، نافذا الى جحيم المعركة ابان القتال والنزال ، حتى اذا حان دور اقتسام المغانم تراجع عنها متعففا ، ليعاود من بعد صناعة الموت ، فاتكا بذلك المدجج الذي يتحامى نزاله الأبطال...

وهو في احتدام المعركة لا ينسى حبيبته فيلمح صورتها والرماح تشرب من دمـه ، ويرى افترار ثغرها من خلال لمع السيوف ، فيود لو يلثم صفاح الحديد لأنها تشبه افترار تلك الياقوتة الحية :

هلاّ سألت الخيل يا ابنة مالك — ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
اذ لا أزال على رحالة سابـح — نهد تعاوره الكماة مُكلّـم
طورا يجرّد للطعّان ، وتـارةً — يأوي الى حصد القسيّ عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة أنـني — أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم
ومدجّج كـره الكماة نزاله ، — لا ممعن هربا ولا مستسلـم
جادت له كفي بعاجل طعنـة — بمثقّـف صدق الكعوب مقوّم
فشككت بالرمح الأصم ثيابـه — ليس الكريم عـلى القنا بمحرّم
ولقد ذكرتك والرمـاح نواهـل — مني ، وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنهـا — لمعت كبارق ثغرك المتبسم ! ..

واذا كان ما ورد في معلقته حتى الآن من جوانب المعركة ، انما هو استقصاء لوصف المبارزات الفردية ، فها هم قوم الشاعر قد اندفعوا الى حلبة النزال يحرض بعضهم بعضا ، متشجعين بالهتاف باسمه ، وقد اشتد وطيس الحرب ، وأخذت طوال الرماح تقع في صدر جواده الكرار ، وهو يدفع به نحو الاعداء هاجما عليهم ، لا يعرف الى الارتداد سبيلا ، حتى اذا اشتد البلاء بهذا الأعجم الأمين لفارسه ، وقد خلص من الدهمة الداكنة ليلبس ثوبا قانيا منسوجا من غزير دمائه ، مال بعنقه الى الوراء ليشكو حاله لفارسه بلسان دموعه وحمحماته المتقطعة . في حين كانت نفس الشاعر قـد انبسطت منفرجا عنها الكرب على هتاف الفرسان : « ويك عنترة أقدم .. » ليضربوا الضربة الواحدة في ظهور الأعداء ، تخوض بهم الخيول العوابس الأرض اللينة التي يصعب بها المسير :

لما رأيت القوم أقبل جمعهـم — يتذامرون كررت غير مذمّم
يدعون عنتر ، والرماح كأنهـا — أشطان بئر في لـَبـان الأدهم
ما زلت أرميهم بثُغرة نحـره — ولبانه ، حتى تسربل بالـدم
فازور من وقع القنا بلبانـه — وشكا اليّ بعبرة ، وتحمحم !
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى — ولكان ، لوعلم الكلام ، مكلمي..
ولقد شفى نفسي وأبـرأ سقمها — قيل الفوارس : « ويك عنتر أقدم ! »
والخيل تقتحم الخَبار عوابسا — من بين شيظمة وآخـر شيظم

تلك لمحات خاطفة من سيرة فحل الشعراء الفرسان في الجاهلية وشعره ، الذي تفانى في سبيل قومه خافضا لهم جناحه ، الا اذا طعن بكرامته والا اذا زأر بمهتضم حقه :

أثني علي بما علمت فـانـنـي — سمْحٌ مخالقتي اذا لم أظلـم
واذا ظُلمت فان ظلمي باسل — مـر مذاقته كطعم العلقـم

وقتل عنترة قبل الهجرة ، وقد تقدمت به السن حتى شارف التسعين . وطُـلّ دمه فلم يطالب به قومه كما توقع ذلك فقال وهو يجود بالروح :

وان ابن سلمى فاعلموا عنده دمي — وهيهات، لايرجى ابن سلمى، ولادمي

لكن التاريخ عرف كيف يرد هذا الظلم ، ويأخذ بثأر ذلك الدم المطلول ، فكان اسم عنترة ملء الزمان وملء المكان . في دنيا العرب وديار الغرب ..

العَرَبُ الأوائل مِنَ النشأة إلى الظُهُور

بقلم : الأستاذ حسني عبد الرحيم
الملحق الثقافي بجامعة الدول العربية

تتوحي كتب التاريخ ، فيما تضيف الى اسماء العرب الأوائل من صفحات ، المظاهر البارزة التي أحاطت بوجودهم سواء من ناحية قدم النشأة ، أو رتبة الطبقة ، أو الصفات الجسمانية ، أو نوع المآل والمصير ، فيقال — وفقا لذلك — عنهم : « العرب القدماء » و« عرب الطبقة الأولى » و « العرب العماليق » و « العرب البائدة » .

والصفة الأخيرة هي أكثر الصفات التصاقا بهم ، ولها دلالة واضحة على أن القوم بادوا وانتهوا ، وفقد التاريخ رفقتهم عند حد معين في غابر الدهر — المؤكد أنه يسبق بمدة غير قصيرة عام ١٤٠٠ قبل الميلاد — حيث أخذت طبقة جديدة من العرب في الظهور هم « العرب الباقية » ، من نسل قحطان واسماعيل ، الذين شهد جيلهم الأخير فجر الرسالة المحمدية .

• • •

ويرجع ظهور اسم « العرب » في لغة البشر الى أن شعوب بلاد العراق القديم كسومر وبابل وآشور كانوا يطلقون على جيرانهم من بدو الساميين الذين كانوا يقيمون الى الغرب من بلادهم ، ويعيشون على رعي السائمة وشن الغزوات ، اسم « عريبي » أي أهل الغرب ... وقد ورد في أحد الألواح البابلية التي عثر عليها عبارة « ماتوا أربي » التي تعني في لغتهم : أراضي الغربيين . وعلى مر الزمن أخذ الأسم صورته الحالية فأصبح يقال « عرب » .

وفي دور لاحق استمد هذا الاسم مفهومه من ظروف البيئة البدوية لأولئك الساميين سكان صحراء غرب العراق وما يليها ، بعد ما كان يستمده من موقع بلادهم الجغرافي ، وصار يستعمل — على هذا الأساس — كمرادف لكلمة « بدو » دون تخصيص .

ومن المؤرخين من ذهب الى أن كلمة « عرب » مأخوذة من اسم « يعرب » جد العرب القحطانية . الا أن التنقيبات الأثرية أعثرتنا — أخيرا — على هذه الكلمة مسطورة في نصوص بابلية — كما ذكرنا — تسبق كثيرا وجود « يعرب » نفسه .

وذهب علماء اللغة الى أن العرب سموا بذلك الاسم نسبة الى بلادهم « العربات » أو « عربة » أي جزيرة العرب ، ولو صح هذا الرأي بالنسبة للعرب « الباقية » الذين ارتبطوا منذ البداية بأرض شبه الجزيرة العربية ، فكيف يصبح بالنسبة لمن سبقهم من العرب الأوائل « البائدة » الذين لم ترتبط نشأتهم بتلك البقعة على أرجح الأقوال ؟

ومهما كان الأمر فان كلمة العرب عندما جرت أول الأمر على لسان البشر . وعندما أطلقت على بدو الساميين جميعا بما فيها العناصر العربية المندمجة ، والتي استقلت في دور لاحق ، لم يكن لها — بطبيعة الحال — ذلك المفهوم الذي اكتسبته بعد ظهور تلك العناصر ، حيث أصبح الاسم يعنيهم وحدهم . ولم تكن تعني أيضا — كشأنها اليوم — كل من له لسان عربي بالاصالة ، اذ من المؤكد ان اللغة العربية لم تكن عند ذلك الدور المبكر قد خرجت من أمها : السامية الأولى ...

ومع ذلك فان ظهور اسم العرب ، أية كانت ملابسات هذا الظهور ، كان مرحلة هامة في ميلاد أمتنا العريقة ونشأة تاريخها .

ويرتبط أجدادنا الأوائل من ناحية الأصل ، بالساميين الأول ارتباط الفرع بالجذع . والساميون على رأي العالم النمساوي سهلوزر ، هم أبناء سام بن نبي الله نوح ، وكانوا قبل تفرقهم أمة واحدة تحت راية واحدة ، تقطن – على أرجح الآراء – صحارى العراق وجنوب الشام كما سنفصّل . وكان يجمع بين هذه الأمة لغة واحدة نسميها اليوم اصطلاحا باللغة السامية الأولى ، ولا نعرف عنها – فيما عدا ذلك الاسم الذي وضعناه – شيئا .

وبدافع من الرغبة في حياة أفضل ، وخلال ظروف سياسية مواتية ، قامت القبائل السامية – التي كانت تعاني من شظف العيش وقسوة الحياة في مواطنها الصحراوية – بأكبر هجرة عرفها التاريخ ، وتدفقت في شكل سيل بشري هائل ، الى بلاد سومر في جنوب العراق ، والى أواسط بلاد الرافدين ، والى سواحل بلاد الشام ... وقد أدى ذلك الى تفرق الساميين ونشأة فروعهم المعروفة فوق أراضي المهجر ، والى ظهور مشتقات اللغة السامية الأولى .

ولم يقفر – رغم هذه الهجرة الجماعية – موطن الساميين الأول من الحياة ، ولم يفتقد في كل بنيه خلق الوفاء .. ذلك ان العناصر المثابرة من الساميين من أولاد أرم ولاوذ ابني سام بن نوح ، ممن آمنوا بأن احتمال الحياة على قسوتها في أرض الوطن ، أهون على النفس من لوعة الحنين في أرض الغربة ، أبت أن تبارح الديار وان تبيع وطنها مع الذين شروه من أجل عرض عن قريب يزول ، فلبثت – حيث هي – مقيمة في أرض الأجداد في غرب العراق وجنوب الشام ، واحتفظت لنفسها –بطبيعة الحال – بالاسم الذي كان يطلق على الأمة السامية أيام وحدتها وهو « عريبي » أو « عرب » ، كما اشتقت بدورها لغتها الخاصة من السامية الأولى مثلما حدث في المهجر ... تلك هي اللغة العربية .

وهكذا نشأ العرب الأوائل من ذرية أرم ولاوذ ، من بين الساميين ، وأخذوا مكانهم في ركب الحياة ، كعنصر بشري له مقوماته وشخصيته المستقلة المميزة . واستقر بصفة نهائية – تبعا لذلك – مفهوم كلمة « العرب » التي أصبحت اسما فارقا يدل عليهم بذاتهم .

• • •

وتعيين الموطن الذي نشأ فيه العرب الأوائل ، والذي خلص لهم – كما بينا – نتيجة للهجرة السامية ، يرتبط بتعيين مهد الساميين أنفسهم . ولقد غدا وجود هذا المهد في منطقة الشرق الأوسط من الحقائق المتفق عليها ، وان لم يمنع ذلك من الاختلاف حول تعيين أي أقاليم هذا الشرق كان ذلك المهد ... بابل ، أو أرمينية ، أو أرض الأموريين ، أو شبه الجزيرة العربية ، أو بادية غرب العراق وجنوب الشام ؟

ونحن نستدل بظاهرة الهجرة الجماعية للجنس السامي ، على الخصائص المناخية القاسية ، والموارد الطبيعية الفقيرة التي كان يتميز بها حتما ذلك المهد ... ومثل هذه الخصائص لا تتفق تماما الا لمنطقتين في الشرق الأوسط ، لا يخرج عن واحدة منها – بادىء ذي بدء – مهد الساميين ، الذي هو في الوقت نفسه موطن العرب الأوائل ، وهاتان المنطقتان هما : شبه الجزيرة العربية ، وبادية غرب العراق وجنوب الشام ...

وتشير القرائن التي بين أيدينا ، الى أن بادية غرب العراق وجنوب الشام ، كانت القطب الذي انطلقت منه الهجرة السامية ، حيث انتهى تسيارها الى ما حولها من مناطق ، وحيث أفسحت تلك الهجرة ، المجال في هذه الربوع ، لنشوء الفرع العربي في شجرة الساميين .

وترقى بهذا الرأي الى مستوى الحقيقة العلمية ، الأدلة المادية من المخلفات والنصوص الأثرية ، التي عثر عليها المنقبون في حدود هذه البادية ، لشعوب العرب الأوائل ... وعلى سبيل المثال :

اكتشفت كتابات عربية تخص ثمود بين الشام والحجاز حيث كانت ديارهم – حسبما ذكر المسعودي– واكتشف في الوقت نفسه نص للملك الأشوري سرجون الثاني يسجل أخبار معركة نشبت بينه وبين هؤلاء الثموديين ، ويعني ذلك بوضوح أنهم كانوا يجوبون الصحارى الممتدة من غرب الرافدين الى ناحية خليج العقبة . وعثر بالقرب من ديار ثمود على آثار شعب عاد . وكشف عن اطلال النبط – وهم من متأخري العرب الأوائل – في بادية جنوب الشام . وجاء ذكر العرب في نص آشوري ، يحكي قصة الصدام بين الملك « شلمنصر الثاني » والملك « جندب » صاحب احدى المشيخات العربية المتاخمة لبلاده في بادية العراق . وظهر ما يبت أن العماليق دخلوا مصر من مواطنهم في جنوب الشام ، كما دخلوا بلاد الرافدين من موطنهم في غرب العراق ... كل هذه وغيرها براهين لا يحتاج بعدها – في هذا الموضوع – رأي الى دليل يحكم له أو عليه .

وينقسم العرب الأوائل بحسب أنسابهم وفروعهم الى شعوب وقبائل عدة :

عماليق العراق : أصحاب دولة حمورابي .

عماليق مصر : ويعرفون عند قدماء المصريين باسم الهكسوس (الرعاة) .

بقايا العماليق وهم : عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، والنبط ، وتدمر ، وجرهم الأولى ، وقبائل متفرقة منهم : لحيان وبنو خالد وغيرهم .

ولكل من هذه الشعوب والقبائل ، تاريخ يتفاوت بين التفصيل والاجمال ، وبين الغموض والوضوح ، في حدود ما أفاضت مصادر هذا التاريخ أو قصرت .

• • •

وفي دور النشأة لم يكن لأجدادنا الأوائل دولة بمعنى الكلمة تترجم عن وجودهم السياسي ، ولكنهم لم يمكثوا طويلا حتى جاوزوا الى دور الظهور والشباب ، كما تجاوز مركبة الفضاء الى فراغ الكون ، ودخلوا من ثم الى مصطرع العلاقات الدولية .

واستطاع العماليق – وهم أول جيل من العرب الأوائل ظهر كمحور لــه خـطره في ميزان القوى العالمية آنذاك – من توجيه أحداث العالم فترة غير قصيرة . وامتشقوا الحسام في وجه مصر وبابل ، وهما يومذاك من أقوى دول الأرض وأعرقها ، فدانتا لهم وخضعتا .

وألقت كل من مصر وبابل بعد خضوعهما ثقافة الانسان وحضارته ، وديعة بين أيدي الغزاة من العرب العماليق ، فكانوا – رغم ما ألصق بهم – مثال الحفظة الذين تربو لديهم الودائع ولا تتبدد .

الرومانسية

بقلم : الاستاذ زهدي جار الله

من الحركات التي تحكمت في مجرى التاريخ ، وتركت في حياة الناس أثرا واسعا عميقا ، وكانت جديرة بالعناية والدرس ، الحركة الرومانسية التي بدأت في انجلترا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وامتدت منها الى سائر أقطار أوروبا ، فتأثرت بكل لون من ألوان الحياة وأثرت فيه ولا سيما الأدب وسائر الفنون الجميلة كالموسيقى والرسم .

اعتاد الباحثون قبل التصدي لتحليل أبحاثهم وتفصيلها أن يعرفوها ظانين أن في التعريف ما يشوق الناس اليها ويعينهم على فهمها . واذا كان ذلك جائز في أكثر المواضيع ، فانه بالنسبة الى الرومانسية جد عسير لأنها حركة معقدة متشعبة تمتد جذورها في أغوار بعيدة ، وتستقي أصولها من منابع عديدة . وقد تطورت كثيرا ومرت على أدوار شتى ، وكانت تتخذ في كل دور أشكالا جديدة ، وتكتسب صفات جديدة .

بدأت الرومانسية كحركة أدبية . وما لبثت أن انتشرت فعمت سائر الفنون الجميلة . ثم تجاوزتها الى مختلف حقول المعرفة . على أني سأقصر بحثي هنا على علاقتها بالأدب والفن . هذا ولا يمكن تفهم تلك الحركة فهما صحيحا ما لم نلق نظرة على الأوضاع التي سبقتها في أوروبا .

قبل ظهور الرومانسية كانت الكلاسيكية مدرسة الأدب والفن في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد بدأت الكلاسيكية في عصر النهضة الأوروبية (١٣٠٠ — ١٦٠٠م) . كنوع من التحدي للعصور الوسطى في أوروبا وما اتصفت به من جهل وتخلف في أكثر نواحي الحياة . ثم ما لبثت ان رسخت جذورها ، واشتد عودها ، وبسقت أغصانها حتى أصبحت في القرنين السابع عشر والثامن عشر مدرسة الأدب والفن بلا منازع . ولقد كانت الكلاسيكية تقوم على أصول أهمها ثلاثة :

تقليد الفن

وأعني بذلك النماذج الفنية القديمة من اغريقية ورومانية . ذلك بأن العصور الوسطى كانت فقيرة من حيث الانتاج الفني . والناس حين بدأوا ينهضون — في عصر النهضة — أخذوا يبحثون عن نماذج فنية يقلدونها أو يتحدونها ، فرجعوا الى الفن الاغريقي — الروماني الكلاسيكي القديم . ولهذا صاروا يعظمون الفن الكلاسيكي ويعتبرونه من أكمل وأسمى ما توصل اليه البشر .

احترام العقل

ثم ان الكلاسيكية تقوم على احترام العقل البشري ، وذلك نتيجة حتمية لقول الكلاسيكيين بأن ما انتجه العقلان الاغريقي والروماني من أسمى وأكمل ما عرفه التاريخ ، وانه يصعب المجيء بأحسن منه . فهم اذا قاموا على احترام العقل في الماضي فلزمهم احترام العقل اطلاقا . وهذا هو السبب في أننا نجد العقل موضع احترام الناس في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

النزوع الى الكمال

هذا وقد كان الكلاسيكيون ينزعون الى الكمال . ويرجع ذلك الى تقليدهم الفن الكلاسيكي القديم الذي هو في رأيهم أقرب الى الكمال . وهكذا أصبح للفن في نظر الكلاسيكيين مفهوم خاص ... انه لا يقوم على تصوير الحقيقة ووصف الواقع ، بل على المبالغة فيهما واخراجهما في أقرب الأوضاع الى الكمال . فالأدباء الكلاسيكيون مثلا كانوا ينزعون الى الكمال في تصوير الانسان والحياة ، وكذلك في الاسلوب واختيار الألفاظ ، حتى أصبح الأدب الكلاسيكي أدب الخاصة . وبدا للناس أن عمل الأديب مناقض لعمل المؤرخ . ولو قد كان الأدب الكلاسيكي غير ذلك . أي لو كان يكتفي بتصوير الحقيقة والواقع على علاتهما . لكان الأديب مؤرخا ممتازا ، ولأصبح الأدب مصدرا موثوقا من مصادر التاريخ .

قلت أن الكلاسيكية ظلت زمنا طويلا مدرسة الأدب والفن الوحيدة . بيد انها بدأت تضعف في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وتنهزم . وأخذت تحل محلها تدريجيا مدرسة جديدة تدعى الرومانسية .

فعلى أي شيء في الكلاسيكية اعترضت المدرسة الجديدة ؟

نظرة المدرسة الجديدة

لقد كان العقل موضع احترام الناس في العصر الكلاسيكي . ولكن ظهر للمثقفين فيما بعد أنهم كانوا مخدوعين باعتمادهم عليه ، وانهم ذهبوا بعيدا في الثقة به . لا ريب ان العقل أدى الى ترقي العلوم الطبيعية في العصر الكلاسيكي وتقدمها ، ولكنه من ناحية أخرى سبب للناس ويلات ومصائب كثيرة تجلت في الحروب والمجازر البشرية التي اجتاحت أوروبا . ان العقل بعد ذلك التطور أدى الى مثل تلك النتيجة . ولهذا صار الناس يشكون في قدرة العقل على حل المشكلات والتوصل الى حقائق الأمور . وأخذوا يتساءلون : ألم يكن الناس في العصر الكلاسيكي قد أفرطوا في تقدير العقل وفرطوا في اهمال العواطف والمشاعر ؟ ألم يضحوا « بالقلب » في سبيل « العقل » ؟ ذلك هو ما دعا المفكرين الى البحث عن طرق أخرى غير العقل فتوصلوا الى « الخيال » ومنبعه القلب . فقال الرومانسيون ان الخيال أسمى من العقل ، وان الانسان عن طريق الخيال يستطيع أن يفهم الحياة ويدرك دقائقها وأسرارها وجمالها ادراكا يعجز عنه العقل . ولهذا أصبح الخيال موضع احترام الناس ، وصار « خيال القلب قلب الحقيقة » !

اعترضت على التقليد

مل الفنانون البقاء عالة على الفن الكلاسيكي القديم تبعا لــه ومقلدين . فراحوا يفتشون عن مصادر للفن جديدة ومنابع جديدة فاهتدوا الى جمال الطبيعة .

وقد دعا جان جاك روسو الى الرجوع الى الطبيعة فقال : ان الناس حين كانوا يحيون حياة بسيطة ، كانت نفوسهم سليمة غير معقدة . ومذ ابتعدوا عن البساطة وتمدنوا فسدت نفوسهم وتعقدت ودب بينهم الحسد والبغضاء . وقـد لقيت هذه الدعوة هوى في نفوس الناس ، فأصبح أكثرهم يتذوق الطبيعة حتى ان « ماري أنطوانيت » انشأت مزرعة صغيرة لتربية الدجاج والأرانب وبركة كبيرة لصيد السمك واجدة في ذلك قربا من الطبيعة وطريقة لاظهار المحبة لها . ولا يقل أثـر الفن الصيني عن أثر دعوة روسو هـذه . فان الأوروبيين في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أخذوا يهتمون بالفن الصيني ، وأقبلوا على استيراد القطع الفنية الصينية من خزف وستائر ومطرزات وغيرها ؛ حتى ان ماريا تيريزا بنت في قصرها جناحا صينيا ؛ كما بنى فريدريك الكبير صيوانا شرقيا ، وصار نبلاء أوروبا وأثرياؤها يقلدونهما في ذلك وينسقون حدائقهم على النمط الصيني . ولما كانت القطع الفنية الصينية موشاة بمناظر طبيعية فقد كان لذلك أثـر كبير في جعل الفنانين في أوروبا ينهجون نهج أهل الصين في أخذ الصور لعملهم الفني عن الطبيعة . وهكذا أصبح الفنانون يستمدون انتاجهم الفني لا من النبع الكلاسيكي القديم بل من الطبيعة .. من مناظر الأشجار والأنهار والأطيار ... من الغابات الواسعة ، والجبال الشاهقة ، والمروج السندسية ، والمساقط المائية ، والبحيرات الزرقاء الصافية ... من ألوان الشفق والطيف ، ومن تغريد البلابل وخرير الجداول وتنفس الرمال ، ومن حفيف الشجر وهمس الزهر وتراقص أشعة القمر على أمواج البحر !

ان محبة الرومانسيين للطبيعة وتغنيهم بجمالها دفعهم الى الاهتمام بالانسان البدائي ، كهنود أمريكا وزنوج أفريقيا لأنهم أقرب الى الفطرة وأبعد عن الفساد . أي انهم لم يهتموا بالانسان القديم المتمدن في أثينا وروما ، ولا بالانسان المتمدن الحديث في أوروبا . وبعد ذلك أبدوا عناية بانسان أوروبا في العصور الوسطى ، ثم بالعوام في أوروبا الحديثة ، لأن كل أولئك أقرب الى الفطرة والبساطة من غيرهم . وصاروا يكتبون عنهم ويكتبون لهم . ولما بدأ التقدم الصناعي في أوروبا ، وأخذ الناس يهجرون الأرياف ويرحلون الـى المراكز الصناعية في المـدن للعمل فيهـا ، أظهر الرومانسيون اهتماما بالعمال وبحياتهـم ومختلف شؤونهم . فمثلا ابتعد العمال عن الريف حيث كانوا قريبين من الطبيعة ، فاندفع الرسامون الرومانسيون الى رسم المناظر الطبيعية الجميلة ، كبلبل يغرد على غصن ، أو فراشة ترشف رحيق وردة ، أو حقل أخضر ترعى فيه الماشية آمنة ، أو جدول يسير متعرجا بين الجبال الشاهقة التي تتوج هاماتها الثلوج الناصعة ، أو الشمس في شروقها أو غروبها ، أو البحر هادئا صافيا أو هائجا معولا تتكسر أمواجه على صخور الشاطىء ، أو سربا من الغزلان يشرب من واحة في قلب الصحراء ، أو قافلة من الجمال تخترق الصحراء وئيدة الخطى . فاذا زين العمال جدران بيوتهم بهذه الرسوم ومتعوا أنظارهم بها وجدوا فيها عوضا عما فقدوه حين تركوا الأرياف وانتقلوا الى المدن . هذا ما فعله الرسامون وهو نفس ما فعله الموسيقيون والأدباء الذين حاولوا بألحانهم وأغانيهم ورواياتهم ان ينقلوا الناس الى الأرياف التي ابتعدوا عنها ليعيشوا فيها بأخيلتهم بعد أن حرموا المقام فيهـا بذواتهم . ومما سهل عليهم هذه المهمة التقدم الصناعي الـذي أوجد الاسطوانات والمطابع فأصبحت المؤلفات الموسيقية والروايات الأدبية في متناول الناس جميعا بأثمان زهيدة .

تلك هي الرومانسية ، وهي كما ترون مدرسة للفن تقوم على تصوير المناظر الطبيعية الجميلة بالألوان والألحان والروايات والكلام الموزون ، وعلى الاهتمام بالشعوب البدائية وعامة الناس والكتابة عنهم ولهم ، ولهذا كان الأدب الرومانسي أدبا شعبيا . وقد سادت هذه المدرسة أوروبا قرنين من الزمان ثم أخذت تنحدر وتحل محلهـا مدرسة جديدة تدعى « المدرسة الواقعية » ، وهي مدرسة لا تقوم على طلب الكمال « كالكلاسيكية » . ولا على الخيال « كالرومانسية » ، بل عـلى الحس الواقع ... ألا وهـو تقدير الأشياء الواقعية المحسوسة ووصفها كما هي وصفا مجردا . وهناك أسباب كثيرة أدت الى ظهور المدرسة الواقعية أهمها اثنان : أولهما رقي العلم وتطوره بشكل عجيب حمل الناس على تقديره لأنهم لمسوا فوائده ، وهكذا انصرفوا عن الكمال والخيال وتعلقوا بالواقع . وثانيهما تقدم علم النفس والتحليل النفسي ولا سيما نظريـة « فرويد » في العقد النفسية ، ونظرية « الفرد ادلر » في الارادة وغريزة التفوق . ولو ألقينا نظرة الى الأدب الواقعي كالروايات مثلا لوجدنا أكثرها قائما على التحليل النفسي ، أو على وصف الحياة الاجتماعية ، أو على النظريات العلمية الحديثة المختلفة ولا سيما ما يتعلق منها بارتياد الفضاء . على أن ذلك لا يعني أبدا أن الرومانسية تلاشت ولم يبق لها أثر ، فما زالت قائمة ولو على نطاق محدود ، وما زال لها أنصارها وان قل عددهم .



يجري تفقد أجهزة الارسال والرادار في الناقلة ، للتأكد من انها متوقفة عن العمل خلال فترة التعبئة .

مع رئيس مشغلي الرّصيف الشمالي

في فرضة رأس تنّورة

اول ما يؤخذ بعين الاعتبار اثناء تفتيش الناقلة هو ان تظل حبالها شديدة ومنتصبة كما يبدو في الصورة

قبل أن تدخل ناقلة زيت مياه فرضة رأس تنورة ، يتخلى قبطانها كليا عن قيادتها وادخالها الى المرسى المعين لها ، ليتولى أمر ذلك المرشد البحري التابع لقسم البحرية في أرامكو مستعينا في تلك المهمة بقاربين من قوارب الجر . بعدئذ يقوم العمال المختصون بربط السفينة بالمرسى المخصص لها . وكما هو معروف للجميع ، فان الغرض من دخول الناقلة الفرضة هو تعبئتها بالزيت الخام أو بأحد منتجاته المكررة . وارامكو ، طبقاً لمسوءولياتها تجاه الناقلة وهي على رصيف الفرضة ، تتخذ الاحتياطات الواسعة والاجراءات الوقائية لتأمين سلامتها . لذلك يقوم رئيس مشغلي الرصيف المناوب يرافقه الضابط الأول على الناقلة ، بتفقدها وتفتيشها قبل تعبئتها ، كما يقومان بمراقبتها خلال عملية التعبئة .



في الفرضة ثلاث غرف مراقبة يعمل في كل منها مشغل خاص يقوم بمراقبة الضغط واجراء الاتصالات والمكالمات الضرورية .

لقد أتيحت لي فرصة التعرف بالسيد محمد سعيد رمضان أحد رؤساء مشغلي الرصيف الشمالي من الفرضة فرافقته خلال مختلف مراحل عمله وزودني بمعلومات أراها نافعة للقارىء العزيز الذي قد لا يتسنى له زيارة الفرضة للتعرف عن كثب بما يجري هناك من أعمال. ولذا أنقل الحديث الذي جرى بيننا للقراء نظرا لما فيه من المعلومات والفائدة.

س - أخ محمد من أي بلد أنت، ومتى التحقت بالشركة؟

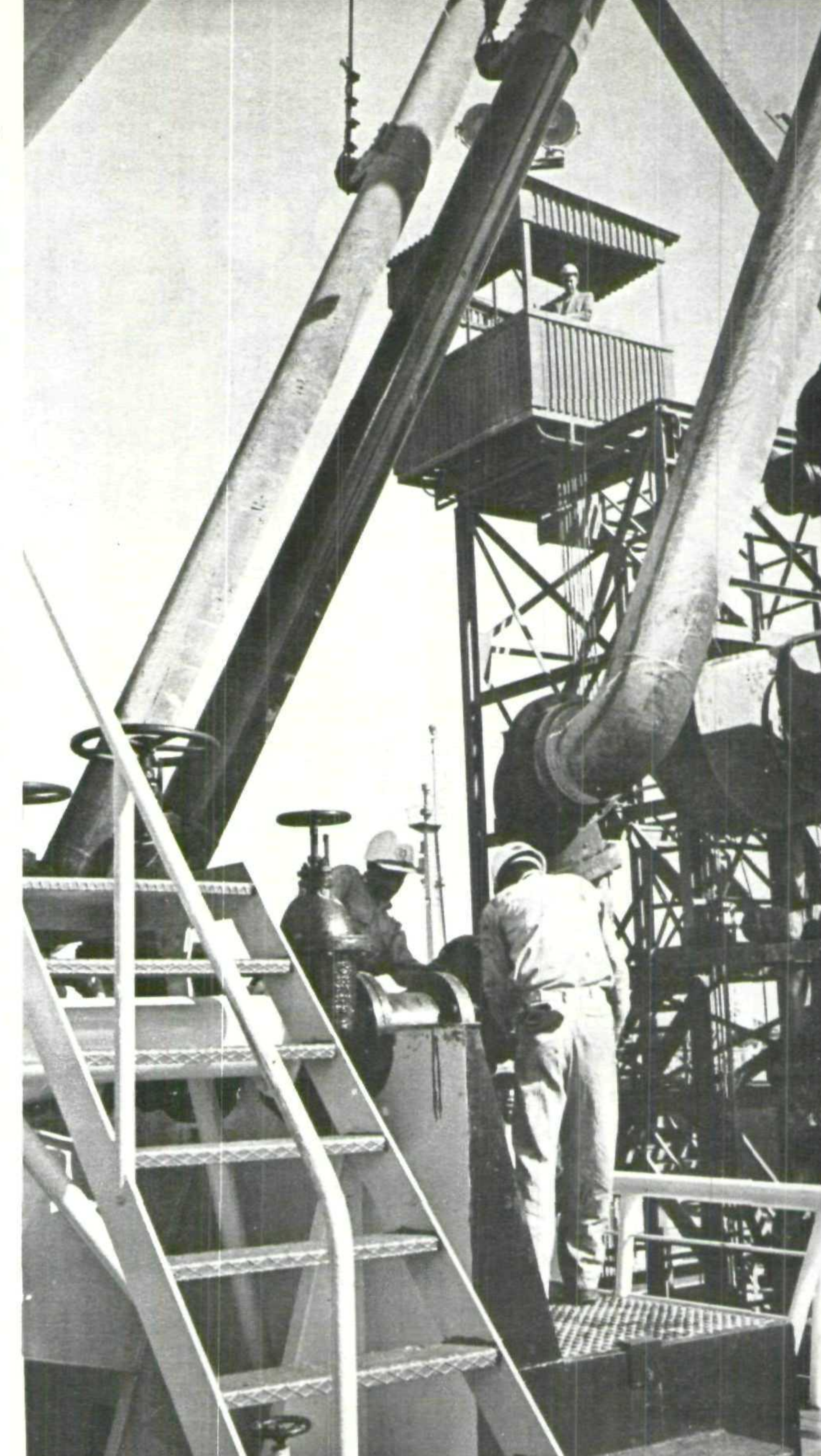
ج - أنا من القطيف، احدى مدن المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية. والتحقت بالشركة منذ عام ١٩٤٨م، بوظيفة نجار في ورشة النجارة في رأس تنورة.

س - كيف تدرجت في عملك حتى وصلت الى المركز الذي تشغله اليوم؟

ج - لقد تقلبت في عدة وظائف قبل أن ينتهي بي المطاف الى الفرضة. فبعد عام واحد من توظيفي، نقلت الى مكتب السكن في حي رحيمة. وفي عام ١٩٥٠ اتيحت لي فرصة الذهاب الى الظهران لتلقي تدريباً اعلى في مركز التدريب هناك. وفي سنة ١٩٥١، نقلت الى قسم السلامة في رأس تنورة، وفي اكتوبر ١٩٦٠ نقلت الى فرضة رأس تنورة حيث شغلت وظيفة رئيس مشغلين في الرصيف الشمالي. وهي الوظيفة التي ما زلت أشغلها حتى الآن.

س - هل الرصيف الشمالي منفصل عن الرصيف الجنوبي؟

ج - أجل ان الرصيف الشمالي وحدة منفصة عن الرصيف الجنوبي، فلكل منهما رئيسه وعماله، ومشغلوه الخاصون. بيد أن الأعمال التي تجري في كل من الرصيفين متشابهة الى حد ما. ويكفي أن نتكلم عن واحد لنعرف ما يجري على كليهما. وكل ما يختلف به



بعض مشغلي الفرضة يقومون بوصل (احدى اذرعة تشكسان)، باحدى فتحات التعبئة. وهذه الخطوة تتم تحت اشراف رئيس المشغلين.

الرصيف الشمالي عن الرصيف الجنوبي ، هو أن في الرصيف الشمالي ستة مراس ، بينما في الرصيف الجنوبي أربعة فقط ، كما أن مياه مراسي الرصيف الشمالي أعمق من مياه مراسي الرصيف الجنوبي ولذا فهي تستقبل السفن ذات الحجم الأكبر .

س — هل أنت الرئيس الوحيد لمشغلي الرصيف الشمالي ؟

ج — طبعا لا ... لأن العمل عندنا يبقى مستمرا ليل نهار . فالعمل مقسم الى ثلاث نوبات . والعمال مقسمون الى أربع فرق تبعا لذلك ، وتتألف كل منها من رئيس مشغلين ، واثني عشر موظفاً آخرين . فثلاث من هذه الفرق تتناوب العمل خلال الـ ٢٤ ساعة ، بينما يحل عمال الفرقة الرابعة الاحتياطية محل العمال الآخرين خلال فترة اجـازتهم الاسبوعيـة والسنوية .

س — ما هي أعمالك كرئيس مشغلين ؟

ج — أعمالي كثيرة متشعبة يمكن تلخيصها فيما يلي : أقوم بمراقبة كل ما يجري على الرصيف الشمالي من عمليات ارساء الناقلات وتعبئتها ، والعمل على جعل هذه العمليات تتم وفق أنظمة السلامة المرعية . وكـذلك مراقبة العمـال والمشغلين ، ومساعدتهم في حل المشاكل التي تعترضهم خلال فترة دوامهم . ومن أعمالي أيضا تفتيش الناقلة قبل تعبئتها ، ومراقبتها خلال فترة التعبئة ، وذلك للتأكد من سلامتها. هذا وأقوم في نهاية نوبة عملي برفـع تقرير الى رئيس الوحدة عن الأعمال التي تمت خلال ساعات العمل ، وعن كيفية معالجتي للمشاكل المعترضة في حال وقوعها . ويتضمن التقرير أيضا معلومات وافية عن ساعة وصول كل ناقلة ، وموعد بدء تعبئتها ، وموعد انتهاء التعبئة

قبل مباشرة تعبئة خزانات الناقلة بالزيت ، يتفقد رئيس المشغلين فتحات التعبئة التي لا تستعمل للتأكد من انها محكمة السد ولا ينساب منها الزيت اثناء التعبئة للخارج .



يجب ان تكون جميع الاسلاك والتمديدات الكهربائية في الناقلة ، وفق انظمة السلامة .



عندما يكون هنالك امر مناف لاصول السلامة يستدعى حارس السفينة المسؤول ويلفت نظره الى ما يترتب عليه اصلاحه وتعديله ليتماشى مع الانظمة المرعية . ويرى في الرسم السيد محمد رمضان ينبه الحـارس الى ضرورة تغطية سطوح الخزانات جيداً اثناء التعبئة .

س — كيف تقوم بتفتيش السفينة ؟

ج — لدينا لائحة بالنقاط التي يجب تفتيشها في السفينة . وستراها بأم عينك أثناء تجوالنا . فأول ما نتأكد منه هو شدة حبال ربط السفينة وانتصابها وذلك للحيلولة دون تحركها من مكانها أثناء التعبئة لأن تحرك السفينة زيادة على حد معين قد يسبب كسر احدى أذرعة التعبئة . كذلك نتفقد احكام وصل أذرع التعبئة بفتحات الأنابيب . ونتأكد من أن جميع الفتحات التي لا تستعمل محكمة السد لتحول دون رجوع الزيت وانسيابه الى الخارج بعدئذ نتأكد من أن محركات الناقلة تبقى مستمرة في عملها خلال فترة التعبئة . وذلك لتكون الناقلة على أهبة الاستعداد لمغادرة الفرضة بأسرع وقت ممكن في حالة الطوارىء . ومما نتحرى عنه احكام سد الفتحات التي تخرج الماء عن سطوح الخزانات وذلك للحيلولة دون تلويث مياه البحر بالزيت الذي قد يسقط أثناء التعبئة . هذا ولا يسمح للناقلة بتخريج المياه من محركاتها أثناء رسوها ما لم تكن نظيفة خالية من الأوساخ وذلك للغرض الذي سبق ذكره . ويجب أن تكون جميع أغطية الخزانات مقفلة أثناء التحميل ، كما يجب أن تكون جميع أبواب ونوافذ قسم السكن في الناقلة مغلقة لمنع تسرب الغازات الى الداخل . ويمنع التدخين في الناقلة منعا باتا الا في الحجرات المخصصة لذلك والتي تكون محكمة السد ولا تشكل خطرا على السفينة . أما أجهزة الارسال والرادار فيجب ايقافها خلال فترة التعبئة وعدم استعمالها قطعيا . واذا اضطر فنيو الناقلة الى اصلاح خلل ما ، فلا يسمح لهم مطلقا باستعمال المعدات التي تحدث شررا . وأثناء تعبئة السفينة يجب أن يكون عليها علم أحمر في النهار وضوء أحمر في الليل وذلك اشارة الى ان الناقلة قيد التعبئة . هذا ويجب أن تكون معدات اطفاء الحريق متوفرة وعلى استعداد ، كما يجب أن يبقى حبلان من حبال السفينة متدليين الى مستوى سطح الماء حتى يتسنى لقوارب الجر سحب الناقلة وابعادها عن الرصيف بسرعة في حال وقوع حادث حريق ، أو في الحالات الطارئة الأخرى .

أما في مطبخ الناقلة وفي أماكن تحضير الطعام الأخرى ، فلا يسمح باستعمال غير الكهرباء وبخار الماء في عمليات الطهو وخلافها . هذا ويجب التأكد من أن جميع الأسلاك الكهربائية سليمة وضمن أنابيب واقية تحول دون وقوع حوادث الحريق . هذا معظم ما نتحرى عنه أثناء تفتيش الناقلة ، والهدف من ذلك كله هو المحافظة على سلامة الناقلة بصورة خاصة وسلامة الفرضة بصورة عامة .

س — ماذا تفعل لو وجدت أن وضعا من الأوضاع على السفينة لا يتفق وشروط السلامة ؟

ج — يتوقف ذلك على أهمية هذا الوضع ، ودرجة خطورته ، فاذا كانت فيه خطورة أوقفت التعبئة ، واتخذت الاجراءات اللازمة ، كما ارفع مذكرة احتجاج الى القبطان لتوقيعها . اما اذا لم يكن الوضع على جانب ذى اهمية من الخطورة فاني الفت نظر الضابط الأول أو القبطان الى ذلك الخطر . فاذا امتثل لذلك كان به ، والا اتصلت برئيسي وأخبرته بالأمر وأخذت بمشورته فيما أعمل ، وقلما نتعرض لمثل هذه الحوادث لأن ربابنة الناقلات يعلمون تمام العلم بأن جميع الأنظمة والقوانين التي تطبق في الفرضة هي لخيرهم وسلامة ناقلاتهم .

وانتهت جولتنا على الناقلة وبودي لو لم تنته الا أن الأخ محمد قد أنهى شرحه الوافر فودعته وقفلت راجعا .

عصام العماد



في هذا العداد تسجل كية الوقود التي تتزود بها كل ناقلة على اوراق خاصة ، كما يقوم رئيس المشغلين او أحدهم بتسجيلها لديه وذلك لرفعها الى رئيس الوحدة لدى انتهاء نوبة العمل .

تصوير : عبد اللطيف يوسف



من تراث العرب

معاوية والأعرابية

خرج معاوية متنزّها ، فمر بحوّاء ضخم ، فقصد بيتا منه . فاذا بفنائه امرأة ، فقال لها : هل من غداء ؟ فقالت : نعم . قال : وما غداؤك ؟ قالت : خبز خمير ، وماء نمير ، وحيس فطير ، ولبن هجير . فثنى وركه ونزل ، فلما تغدى قال : هل لك من حاجة ؟ فذكرت حاجة أهل الحواء . قال : هات حاجتك في خاصة نفسك ، قالت : يا أمير المؤمنين ، أني أكره أن تنزل واديا فيزف أوله ويقف آخره .

أبو دلف وجاره

يروى أن رجلا كان جارا لأبي دلف ببغداد . فأدركته حاجة وركبه دين فادح حتى احتاج الى بيع داره . فساوموه فيها فسمى لهم ألف دينار . فقالوا له : ان دارك تساوي خمسمائة دينار . فقال : أبيع داري بخمسمائة وجوار أبي دُلف بخمسمائة . فبلغ أبا دلف الخبر ، فأمر بقضاء دينه ووصله وقال : لا تنتقل من جوارنا . فانظر كيف صار الجوار يباع كما يباع العقار .

ابو العلاء المعري والغلام

حكي أن غلاما لقي أبا العلاء المعرى فقال : من أنت يا شيخ ؟ قال : فلان . قال : أأنت القائل في شعرك :

واني وان كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

قال أبو العلاء : نعم . قال : يا عماه ان الأوائل قد رتبوا ثمانية وعشرين حرفا للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفا ؟ فدهش المعرى من ذلك وقال : ان هذا الغلام لا يعيش لشدة حذقه وتوقد فؤاده .



طبيب آخر

جلس الطبيب على حافة سرير المريض وقال له : لا يسعني أن أخفي عليك أن حالتك سيئة جدا ؟ فهل ثمة أحد تود رؤيته ؟ فأجاب المريض بصوت ضعيف : أجل يا دكتور ؟ قال : ومن هو ؟ قال : طبيب آخر .

انا امي مثلك

دخل آينشتاين أحد المطاعم ، وجلس الى المائدة لتناول غدائه ، ودس يده في جيبه ليتناول نظارتيه فلم يجد لهما أي أثر .. فحار في أمره ، وهو لا يستطيع تمييز ما تحتوي عليه لائحة الطعام من أصناف بدون نظارتيه . فنادى على الخادم وطلب اليه أن يقرأ له ما كتب في اللائحة ، فما كان من الخادم الا أن قال وهو يهز رأسه : المعذرة يا سيدي ، فانا أمي مثلك !

نسب اعرابي

لقي اعرابي آخر فسأله : ما اسمك ؟ قال : فيض . قال : ابن من ؟ قال : ابن الفرات . قال : أبو من ؟ قال : أبو بحر .

فقال الأعرابي : ليس لنا أن نكلمك الا ونحن في زورق .

الرشيد وحميد

غضب الرشيد على حميد الطوسي فدعا له بالنّطع والسيف ، فبكى .

فقال له : ما يبكيك ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لأنه لا بد منه ، وانما بكيت أسفا على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط عليّ ، فضحك أمير المؤمنين وعفا عنه .



ديوان شعر جديد ، لشاعر من شعراء الشباب الليبيين .. ينحدر من الأسرة السنوسية المالكة ، أبوه شاعر ، ولعل عامل الوراثة من بواعث انطلاق الشعر على لسان الشاب الشاعر .

والشاعر الشاب ، تلقى تعليمه في المدارس الليبية ، وتخرج في عام ١٩٦٣ / ١٩٦٤ من الجامعة الليبية « ببنغازي » قسم آداب ، والتحق كمدرس باحدى المدارس الثانوية في بنغازي نفسها فور تخرجه ..

وشعره يميل الى الغزل ، شأن روح الشباب النامي ، وبجانب الغزل ، كما هي حال الشباب المتوثب الحي ، تجد شعر الوطنية .. والمناسبات التي تتصل بمجد الوطن وطموحه .

وشاعرنا الشاب اطلع على الشعر المعاصر ، وخاصة شعر المهجر ، فنهل منه ، وتأثر بشيء من اتجاهات الشعراء المهجريين ..

تحليق مجنح ، وتعبيرات خفيفة .. وخيال رفاف وشيء من رمزية ، ليس فيها غلو ، وانما فرضها التأثر .. أو الحياة نفسها ، كالجنوح الى المحافظة .. « مثلا » . والنسخة التي تفضل باهدائها الي صاحب الديوان ، كانت من الطبعة الثانية التي صدرت في شهر مارس عام ١٩٦٥ . أما الطبعة الأولى .. فقد صدرت في عام ١٩٦٣ . وصدرت الطبعة الثانية من الديوان بكلمة للشاعر القروي رشيد سليم الخوري ، أثر اهداء نسخة من ديوان الشاعر في طبعته الأولى .

ومع ان المركز الذي يرتبط اليه الشاعر وأسرته ، يحتم المحافظة المتصلة ، ورغم ورع والده وتقاه ، الا أن الشاعر الشاب ، يكسر القيود ، ليثبت قدمه في شعر الغزل ، ومنه ما يعمق فيه الشاعر ، ربما كان بدافع فورة الشباب وحماسته ..

والشعر ، ولا شك ، رقيق ، وهو « باكورة » انتاج الشاعر الشاب . والانتاج البكر ، لا يخلو من أخطاء ، ليس مهما ، ان تكون في القواعد المتعارف عليها ، كالفكرة ، والمعاني ، والنسج .. ولكن تعثر الشاعر « راشد » يسير ، اذا قيس بانتاجه . والأيام والتجاريب كفيلة بصقل الموهبة ، وتطوير الانتاج ، وبعد التحليق في مجالات الشعر القوي الرصين الذي يخدم المجتمع وقضايا العروبة ..

والشاعر .. أي شاعر ، ينبغي أن يعيش تجاريبه ، وتجاريب قومه ومحيطه الواسع الكبير الذي ينتمي اليه بالدم والاحساس والمشاعر .. ينبغي أن يكون مشدودا الى هذه الصلة ، ليتفاعل مع أحداثها .. ويرسل نفثاته عبر الأثير والأجواء لتبلغ مستوى المشاركة بالاحساس ، ومسؤولية المصير ، والايمان بمبدأ المطالبة بالحقوق ، والذود عن الاوطان .. والدعوة الى « كلمة سواء » كما يعبر القرآن الكريم .

وشاعرنا لم يخل ديوانه من شعر الوطنية والكفاح المقدس ، فيما يتصل بالعروبة وحقوقها العادلة ، والوقوف أمامها . وأول قصيدة في الديوان ، اسمها « زينب » يقول الشاعر في مطلعها :

لكل هواه ومـا يطلب — فماذا تراها هوت زينب ؟
فتاة تعيش بأحلامها — ليـوم تحقق ما ترغب
يـدور بخاطرها مـا يدور — ومن دون ذلك ما ترهب
فتمضي وفي نفسها حيرة — وفي صدرها النار تستعذب

شعر يمتاز بالرقة ، ويصور أحاسيس ومشاعر في تحفظ مع تركيز يصاحب السهولة وروح الموضوع .. وفي القصيدة ، دفاع عن الفتاة « زينب » وتصوير للقيود ، التي فرضت لتحد من مضيها في دراستها وتعليمها ..

ورغم أن قصيدة الشاعر التصويرية ، متوسطة ، فان الموقف قد يضطرني الى عدم تتبع السرد الذي أتى به الشاعر في شبه قصة لأنه لا يصلح للعرض ، ولكن لا حاجة الى الصعود في سلم نكون قد أدركنا غايته .

ومن القصيدة يقول الشاعر :

ولكنها رغم هذا مضت وبالعلم تصلح ما نالها
وتثبت ما حاولوا نفيه وتبعث في النفس آمالها
وكانت تفند أقوالهم .. بأن الجهالة أولى لها
بنجح يحالفها كل حين وفوز يدعم أقوالها

وتجنح القصيدة ، بعد اعلان القضية والدفاع والشهود ، الى الاستلطاف ، والاستحسان ، انه تصريح ، أو قل انتقال ، في مجال سرد قصة زينب ، من مشهد الى مشهد ، ومن حال الى أخرى .. ويتحول الاستحسان الى رغبة في بناء كيان شرعي يضم الروحين الطائرين .. واستمعوا الى الشاعر يعلن :

وجاء لوالدها خاطبا وأبدى له كل ما في الفؤاد
وقال له كل ما ظنه كفيل بتبليغه ما أراد
وكان يؤمل منه القبول وكانت خيالاته في ازدياد
ولكن اجابته أظهرت له أن بعضهم كالجماد

اذن الأب لم يستجب لطلب الخاطب ، ولن يبني الصرح عن هذه السبيل ، فقد خاب الأمل .. ولا بد ان ثمة أسبابا ، سواء كانت مشروعة .. أو أملتها التقاليد والأطماع ، يصورها الشاعر في الأبيات التالية :

أجاب فخيب آماله تنح ودع عنك هذا الخيال
فما أنت معقد آمالنا ولا أنت كفؤ لذات الجمال
أتطمح للنجم يا للجنون وتدنو من البدر يا للخبال
فلا تعد القول لي يا فتى فما تطلب اليوم صعب المنال

ويمضي الشاعر يصور قصة الفتاة وتخيلاتها ونصائح الأم ، وتعليلاتها ووالدها ، وما يصل اليه المؤتمر ، بعد نقاش وحوار . وقد استطاع الشاعر أن يحدده مرحلة مرحلة ، في سبك طريف ، لا يخرج عن الواقع الذي يعيشه بعض الناس بعقليات خلقها الله أطوارا ، في مداها وآفاقها . ويقول الشاعر :

وقالت لها الأم لا تجزعي ولا تأبهي للذي تسمعين
وسيري يحوطك رب السماء ويرعاك من حسد الحاسدين
ففيك أرى أملا طالما تمنيت اشراقه من سنين

ويستمر السرد ، ويبدأ الحوار ، أو قل الرد من الأب بعد أن يسمع صوت زوجه واحتجاجها ، ونكرانها ، لما ألف الناس ، ارتباطا بالتقاليد الموروثة . يتحرك الأب ليعلن سلطانه وحقه وارادته وطمعه في نسج ، توفق اليه الشاعر .

وردد والدها ثائرا لي الأمر والنهي لا للنساء
فقد جاءني من يود الزواج عظيم عليه سمات الثراء
وان كان شيخا فمن ماله سخيا وننفق كالأغنياء
وتسعد أمواله ابنتي ونسكن في القصر بعد العراء

انه تصوير واقعي وتمضي القصيدة على هذا النحو ، بين قلب الفتاة ، وصراع الأم والأب .. وفي مجال الغزل الخفيف الشائع ، نقرأ للشاعر بعض هذه القصيدة السريعة الخفيفة السهلة .. التي عنوانها — من غير تحية :

مرّ من غير تحية (غاضبا في عنجهية)
أدلال ما تبدى منه أم تلك سجيّة
راح في الأثر فؤاد حينما مر عشيّة؟
ورماني بلحاظ (كمنت فيها المنيّه)
لم يا مالك قلبي تعجل اليوم عليّه

وفي الديوان ، البلبل الأسير ، نشيد الخريجين أنشأها الشاعر بمناسبة تخرج دفعة جديدة في الجامعة الليبية يحيّي فيها الشاب العلم وزملاءه المكافحين .. في سبيل التحصيل والمعرفة .. ثم قصيدة — مؤتمر القمة — وهي قصيدة تحفزية فيها فورة الشباب وتدفقه . ثم قصائد ، أنت القمر « خولة » ، ويوم الاستقلال . وقصيدة يوم الاستقلال هذه نظمت في عام ١٩٦٢ ، يحيّي الشاعر بها استقلال بلادة فيقول :

قفي بالركب حيّ الناظرينا قد التهبت أكفّهم جنونا
رويدك ان هذا اليوم يوم أعزّ الله فيه الصابرينا
وهنأهم بالاستقلال فجر تلألأ موقظا للنائمينا

أما قصيدة « يا حبيبي » فرقيقة عذبة ، يبدأها الشاعر بقوله :

يا حبيب الروح لو تنصت ، لو تسمع مني
لوعة الحرمان ، آهاتي ، عذابات التجني
قصة الماضي الذي غيّبه صدك عني
لاعج الأشواق في صدري الى اللحن الأغن
يا حبيبي
يا حبيبي ، عيشنا في ظل هذا الدهر مرة
فاملأ الأيام اشراقا وأنسا ومسرة
وأعدها ، ليس في عودتها أي مضرة

وفي مجال عتاب الاصدقاء .. نقف مع قصيدة « الى صديق » :

ماذا دهاك لتخطىء المقصودا متخطيا من أجل ذاك حدودا
ماذا أصابك ؟ والزمان مصائب عهدي بشعرك في القلوب نشيدا
فاربأ بنفسك يا أخي عن قالة الشعب لم يقبل لها ترديدا
وأجلّ قصدك ان يكون دراهما فالمال لا يهب الرجال خلودا

وبعد ، فهذه وقفة مع الشاعر الشاب — راشد الزبير السنوسي .. ومع ديوانه « قيثارة الخلود » ، أرجو أن تتيح لي الأيام وقفات أخرى مع ما ينتج من جيد الشعر ورائعه .

الغذاء السليم

بقلم : الدكتور سمير حنا صادق

كما تحتاج السيارة الى وقود للحصول على الطاقة ، والى زيوت مختلفة لتشحيم وتيسير العمليات الميكانيكية المتعددة ، يحتاج الكائن الحي الى غذاء يقوم بالوظيفتين معا : وظيفة توفير الطاقة ، ووظيفة تزويد الكائن الحي ببعض المواد الكيميائية التي يحتاج اليها في عملياته الحيوية المختلفة .

وتختلف الكائنات الحية في احتياجاتها الغذائية ، ويمكن تقسيمها من هذه الناحية الى قسمين كبيرين :

الأول : يعتمد على نفسه اعتمادا كليا في صناعة احتياجاته من المواد العضوية من مواد أولية بسيطة غير عضوية . ويتبع هذا القسم المملكة النباتية بأكملها تقريبا . اذ يشترك أفراد هذه المملكة في المقدرة على صناعة ما يحتاجون اليه من مركبات عضوية ، من مواد بسيطة مثل ثاني أكسيد الكربون ، والطاقة الشمسية ، والأملاح ، والمياه المستمدة من التربة .

الثاني : يعتمد في غذائه أساسا على مواد عضوية صنعها غيره من الكائنات الحية ، ويقع في هذه المجموعة أغلب أفراد المملكة الحيوانية . ويمكن تقسيم أفراد هذه المملكة حسب عاداتهم الغذائية الى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : هي الحيوانات الآكلة للعشب (Herbivorous) وهي تعتمد في غذائها على النباتات ، ومنها مثلا : الأرانب والغزلان والبقر والماعز ... الخ .

المجموعة الثانية : هي الحيوانات الآكلة للحوم (Carnivorous) وهي تعتمد في غذائها على لحوم غيرها من الحيوانات ، ومنها : الأسود والنمور والطيور الجارحة ... الخ .

والمجموعة الثالثة : وهي تأكل خليط من اللحوم والنباتات (Omnivorous) مثل القرود .

ويقع الانسان بحكم احتياجاته وعاداته الغذائية في هذه المجموعة الأخيرة . فهو يعتمد اعتمادا شبه كلي في تلبية احتياجاته الغذائية على غيره من أفراد المملكة الحيوانية والنباتية . ولا يستثنى من هذا الا المياه وبعض الأملاح التي قد يحصل عليها من البيئة مباشرة .

ويقسم علماء التغذية احتياجات الانسان الغذائية الى أقسام عديدة :

١ - النشويات أو مائيات الكربون (Carbohydrates)

وهي مجموعة متجانسة كيميائيا ، تتميز باحتوائها علاوة على الكربون ، على هايدروجين وأكسجين بنسبة وجودهما في الماء ، ومن هنا اشتق اسم المجموعة . ومن أفراد هذه المجموعة النشا والسكريات المختلفة كسكر القصب (Sucrose) وسكر الفاكهة (Fructose) وسكر اللبن (Lactose) . ومن أوسع أفراد هذه المجموعة انتشارا في الطبيعة عادة السليلوز (Cellulose) ومنها يتكون لحاء الأشجار . ولكنها بكل أسف غير قابلة للهضم في معدة الانسان .

٢ - الدهنيات (Lipids)

وهي مجموعة متجانسة فيزيائيا . فلا تجمعها خواص كيميائية واحدة وانما تشترك في قابليتها للذوبان في مواد معينة دون غيرها .

ومن أهم أنواعها الزيوت النباتية المختلفة ، والدهون الحيوانية ، وبعض الفيتامينات ، والهرمونات .

وتتميز بعض أفراد هذه المجموعة بالطاقة الغنية . ففي حين يحتوي غرام النشويات في العادة على ٤ وحدات طاقة حرارية (Calories) يحتوي غرام الزيت على ٩ وحدات طاقة حرارية .

٣ — البروتينات (Proteines)

وهي مركبات عضوية غنية بعنصر الآزوت . ويحتاج اليها الانسان باستمرار لتجديد أنسجته ولنموه ولصناعة كثير من المواد الحيوية المهمة . وتتكون البروتينات من وحدات كيميائية صغيرة تسمى الأحماض الامينية (Amino acids) يستحيل على جسم الانسان صناعة بعضها . ولذا لا بد له من الحصول عليها جاهزة من غيره ، من أفراد المملكة الحيوانية أو النباتية . وتشكل البروتينات أهم مشاكل التغذية في العالم المعاصر ، فهي أغلى أنواع الغذاء ، وينقص غذاء كثير من شعوب العالم الفقيرة عن المعدل المطلوب من هذه المواد .

٤ — الفيتامينات (Vitamins)

وهي مجموعة من المواد العضوية المركبة يحتاج اليها الجسم في عملياته الحيوية ولا يستطيع صناعتها . وتتميز هذه المجموعة بأن احتياجات الجسم اليها بسيطة جدا لا تتعدى المليغرامات .

٥ — الأملاح والمياه

ويحتاج جسم الانسان الى كمية كبيرة من المياه والأملاح المختلفة كالصوديوم والبوتاسيوم والكلسيوم والمغنسيوم والحديد والنحاس والزنك ... الخ . وقد تصل هذه المواد عن طريق ما يأكله من مواد عضوية أو في شكل نقي (الماء — ملح الطعام) يضاف الى غذائه .

مواصفات الغذاء السليم

يحتاج جسم الانسان الى خليط متناسق من هذه المجموعات الغذائية فاذا نقص واحد منها أو أكثر عن حد معين . تعرض الجسم لأحد أمراض سوء التغذية . وتنتشر أمراض سوء التغذية انتشارا واسعا في المناطق الفقيرة من العالم ، ومن أشهرها مرض « البريبري » (Beriberi) الناتج عن نقص فيتامين ب ١ ، ومرض « الكواشركور » الناتج عن نقص البروتينات في غذاء الأطفال . ومرض « الاسقربوط » الناتج عن نقص فيتامين ج ، ومرض « البلاجرا » الناتج عن نقص حامض « النيكوتيك » ومرض « العش » (العمى الليلي) الناتج عن نقص فيتامين ألف . ويساعد على انتشار الأمراض اعتماد الأهالي في مناطق معينة من العالم على نوع معين من الغذاء كالأرز وينتج عن ذلك (البريبري) ، أو الذرة وينتج عن ذلك (البلاجرا) .

وقد سلحت الطبيعة الانسان للدفاع عن نفسه ضد اختلال التغذية بسلاح مهم هو الشهية . فعند نقص المياه مثلا يشعر الانسان بالعطش . وعند نقص الغذاء يشعر الانسان بالجوع ، وعند نقص الأملاح يشعر الانسان احيانا بميل للأغذية الغنية بهذه الأملاح .

ولكن الشهية أحيانا تكون من أخطر أعداء الانسان . وقد تمكن الانسان فنيا وصناعيا من استخلاص أكثر المواد اثارة لها (الدهنيات والسكريات) بصورة شبه نقية ، بعدانتزاع الأملاح والفيتامينات منها ، وهكذا يؤدي الافراط في أكل هذه المواد بجانب السمنة الزائدة الى نقص في العناصر المنتزعة منها .

وعلى هذا يمكن تلخيص السياسة السليمة للغذاء في نصيحة أساسية هي أن الغذاء السليم ينبغي أن يتكون من خليط من المواد الغذائية المختلفة ، وان يبتعد بقدر الامكان عن المواد الغذائية التي استخلصت وانتزعت منها أملاحها وفيتاميناتها .

اجوبة حاولات تجيب

— ١ —

أ — مشفر .

ب — جحفلة .

ج — خطم .

— ٢ —

أ — أبو الطيب المتنبي .

ب — الخنساء .

ج — عنترة بن شداد العبسي .

— ٣ —

أ — ابن رشد .

ب — حسان بن ثابت .

ج — ابراهيم الفزاري .

— ٤ —

أ — سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال .

ب — عشر سنوات وستة أشهر وثمانية أيام .

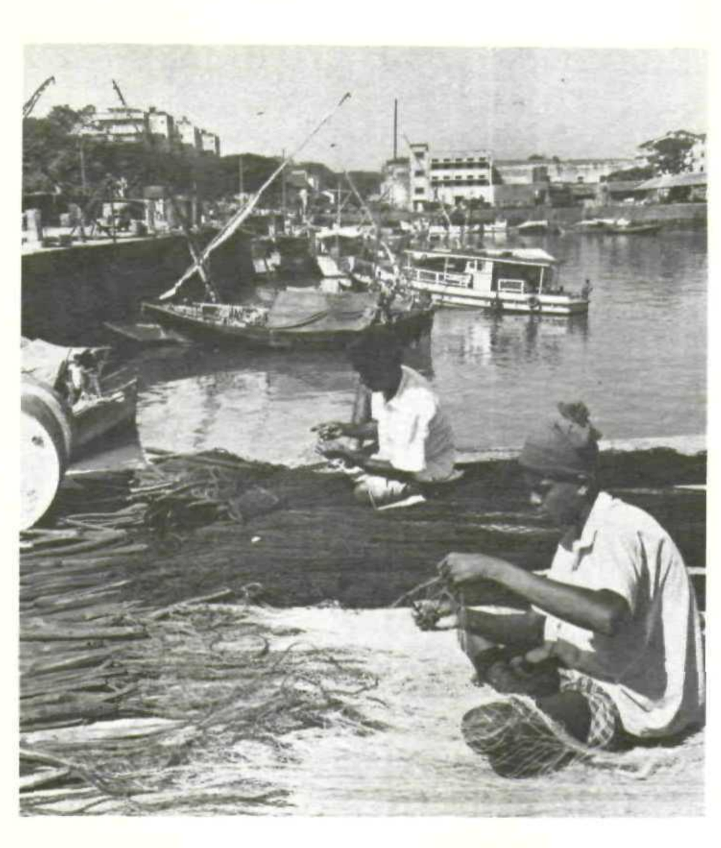
ج — اثنتا عشرة سنة الا اثني عشر يوما .


البحار

مصدر للثروة الغذائية

في مساحات شاسعة من الكرة الأرضية يحدث الآن انفجار في عدد السكان لم يسبق له نظير . وهذا التزايد الهائل يتسبب في خلق مشاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة لا سيما في البلدان النامية . وتشير الدراسات الاحصائية التي قامت بها منظمة الأمم المتحدة ازاء مستقبل تفجر سكان العالم في الأربعين سنة القادمة ، الى انه في عام ٢٠٠٠م سيرتفع عدد السكان ٥٣٠٠ مليون الى ٦٨٠٠ مليون نسمة ، بعد أن كان في عام ١٩٦٠ حوالي ٣٠٠٠ مليون نسمة . وتبعا لهذا التزايد الضخم ستواجه البشرية في سنيها القليلة القادمة مشكلة عظمى هي مشكلة توفير الغذاء اللازم لأبنائها .

منذ فجر التاريخ وحتى عهد قريب . وأعباء المجاعة تثقل كاهل البشرية .. فبسببها ، نشبت الحروب ، واستشرى الوباء ، وتدهورت الثقافة والاقتصاد ، وتلاشت مدنيات وحضارات بكاملها . أما في الوقت الحاضر ، فان المجاعة أخذت تتضاءل تدريجيا ليحل محلها في أنحاء عديدة من العالم مشكلة جديدة هي مشكلة نقص التغذية . فهناك الملايين من شعوب العالم تحصل فقط على الطعام الذي يكفل مجرد عيشها ويسد رمقها في الحياة . وعلى الرغم من الانتصارات الباهرة التي أحرزت في ميداني الزراعة وعلم حفظ الأطعمة ، فقد أخفق الانسان في تلبية حاجات هذا التزايد من السكان . ومن ضمن الحملات العلمية التي يشنها العلماء في شتى بقاع العالم حيال هذه المشكلة ، سبر أغوار البحار لاستغلال مواردها الوفيرة وثرواتها البروتينية الغزيرة الكفيلة بحل مشكلة سوء التغذية وتكريس الجهود لمكافحتها بشتى الطرق والوسائل الحديثة . اذ تشكل البحار مساحة تربو على ٧٠ في المائة من مجموع مساحة سطح الكرة الأرضية . ويقدر انتاج الفدان الواحد منها بنحو ١٠٠٠٠ رطل من الأسماك الغنية بالبروتين اللازم لحفظ توازن نظام التغذية لدى بليوني نسمة من سكان العالم الذين يعتمدون على الخضر كغذاء رئيسي . بيد أن زيادة استغلال موارد هذه الثروة البحرية الطائلة تتوقف الى حد كبير على معرفة أسرار



مع ان تجفيف شباك الصيد واصلاحها عملية مملة الا انها من العمليات الضرورية لصائدي الاسماك .



بعض قوارب الصيد راسية في ميناء « هانستد » في الدنمارك ، تتزود بالمحروقات وزيوت التشحيم قبل اقلاعها .

أعماق البحار وهجرة الأسماك فيها . ولهذا الغرض يحاول علماء الكائنات البحرية معرفة المزيد عن عادات الاسماك وأماكن تكاثرها وكيفية تناول طعامها . فمعظم الأسماك التي يصطادها الصيادون هي تلك التي توجد بالقرب من شواطىء البحار . وذلك لأن تحركاتها في البحار ذات الأمواج العالية ما زالت مجهولة وغير محددة ، ورجال الأبحاث يقومون الآن تدريجيا بجمع معلومات وافية عن هجرة الأسماك وطرق غذائها ، كيما يتسنى للصائدين معرفة مصائد الأسماك في الأماكن العميقة وتوفير وقتهم الكبير الذي يذهب هدرا في البحث عن السمك .

ان معرفة المزيد عن معالم المحيطات وتحركات الاسماك - لا سيما في الحالات التي يكون التيار فيها مرتفعا - ستساعد ولا شك ، على تحديد أماكن الصيد الغنية بالأسماك ، واماطة اللثام عن كثير من أسرار البحار التي ستقود الأمم الى ايجاد أفضل الأساليب وأجدى الوسائل الفعالة لاستغلال ثروات البحار والحصول على أكبر كمية من الأسماك بأقل مجهود ممكن .

والطريقة الحديثة المتبعة اليوم في صيد الأسماك هي أن قباطنة قوارب الصيد ، قبل البدء بهمام رحلتهم ، يتصلون لاسلكيا بالسفينة الأم لتزويدهم بالمعلومات الكافية التي تساعدهم وترشدهم الى أماكن الصيد . وهذه القوارب مزودة بشباك حديثة تسيرها محركات آلية تتحكم في فتحها واغلاقها بسرعة تمكنها من الحصول على كميات أكبر من الأسماك في وقت أقل بكثير مما تستغرقه الأيدي العاملة . كما تتولى هذه المحركات عملية جذب الأسماك من الشباك وضخها خلال أنابيب متصلة بقلب القارب وهلم جرا .

هنالك وسائل حديثة للصيد يجري العمل في الوقت الحاضر على تطويرها ، ومن بين هذه الوسائل تربية أنواع من الأسماك في أعماق البحر ضمن حواجز من الفقاقيع الهوائية وحواجز كهربائية أو كيميائية وعندما تتكاثر يجري ضخها الى ثلاجات ومبردات ضخمة في السفن تمهيدا لتجهيزها واعدادها . كما يدرس المهندسون طريقة معينة لايجاد شباك رحوية أو مصايد كهربائية تطلق بواسطة صاروخ خاص نحو الأماكن الزاخرة بالأسماك وذلك للحصول على كميات أكبر من الأسماك من المياه الأكثر عمقا . بينما تقوم جماعة أخرى من العلماء في الوقت نفسه ، بأبحاث تستهدف التوصل الى أحدث الطرق الاقتصادية الكفيلة بحفظ الأطعمة من التلف الى أدنى حد ممكن .

ثمة أنواع قليلة من الأطعمة أكثر قابلية للتلف من الأسماك . وهذه الأنواع ينبغي تبريدها وتثليجها جيدا منذ لحظة جمعها والحصول عليها لا سيما أثناء شحنها الى المناطق الاستوائية التي هي بأمس الحاجة اليها . أما بالنسبة للأسماك فأفضل طريقة اقتصادية لحفظها منذ فترة صيدها حتى بلوغها أيدي المستهلكين . هي تحويلها الى مسحوق حيث يسهل شحنه دون الحاجة الى تثليجه وتبريده . وهذه الأسماك التي غدت على شكل مسحوق يمكن اضافتها الى بعض أنواع الحبوب والأطعمة الأساسية . ومن أهم ميزات عملية السحق هذه أن السمك يحتفظ بقيمته الغذائية (البروتين) كاملا دون أن يفقد أيا من أجزائه حتى تلك الأطراف التي ترمى عادة لدى عملية التنظيف التقليدية . هذا ، وتؤكد الدراسات التجريبية التي ما زالت قيد البحث والتطوير مدى فعالية الأسماك المركزة الغنية بالبروتين في مكافحة مشكلة سوء التغذية لدى استعمالها كغذاء مساعد في المناطق التي تكثر فيها الخضار وتفتقر الى المأكولات الغنية بالبروتين .

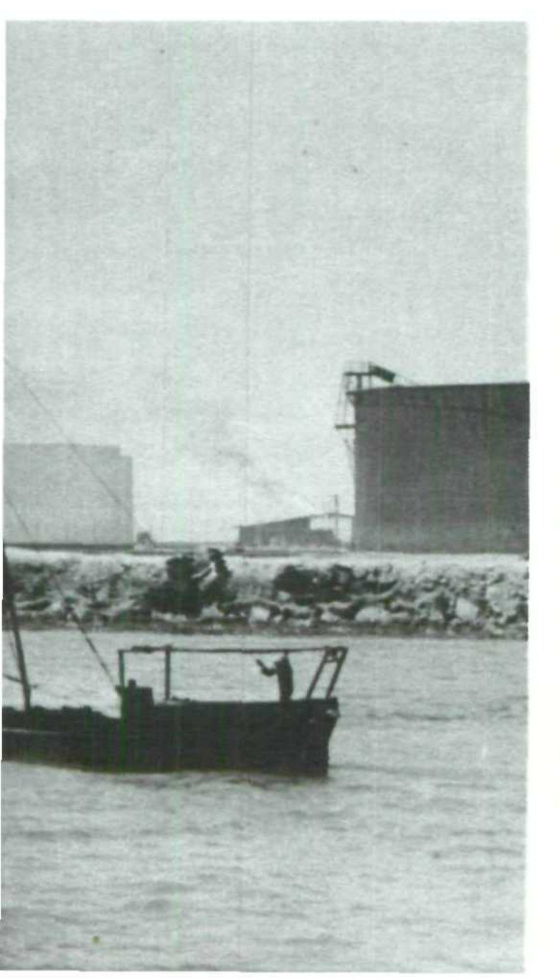
ففي أرغواي مثلا توصل أحد العلماء لدى جامعة « مونته فيديو » ، الى عزل خميرة خاصة تستطيع بدورها خلال فترة الاختمار تفكيك بروتينات السمك وتحليلها الى عناصرها الغذائية . وبعد ذلك يتحول السمك الى الحالة السائلة ثم يجفف ليصبح على شكل مسحوق ناعم ذي رائحة وطعم لذيذين . كما قام مهندس آخر من مدينة «بريمرهافن» في المانيا الغربية ، بتعريض مجموعة من السمك لتيارات كهربائية عالية ، لفصل المواد الدهنية والبروتينية عن طريق تغيير صفات جدران خلاياها وبذلك تمكن من انتاج بروتينات وزيوت جيدة لا تتأثر بالحرارة .

ولمواجهة الطلبات المتزايدة على المواد الغذائية ، والناجمة عن تفجر السكان في العالم ، أخذت صناعة صيد الأسماك تضاعف انتاجها خلال السنوات الثلاثين الماضية . ففي عام ١٩٥٨ ، بلغ انتاج العالم من الأسماك حوالي ٣٢ مليون طن ، بينما ارتفع في عام ١٩٦٣ الى حوالي ٤٦ مليون طن . لكن المشكلة التي تشغل أذهان العلماء اليوم هي كيف يمكن الاستمرار في زيادة استغلال هذه الثروة الهائلة لمواجهة هذا التحدي المتزايد من نمو السكان ؟ أجل ، ان عددا كبيرا من المؤسسات الصناعية والحكومات في مختلف انحاء العالم تسهم مساهمة فعالة في سبيل هذا المجهود العلمي الضخم محاولة منها في التغلب على هذه المشكلة الخطيرة . وحتى يفلح العلم في تحقيق منجزاته واخراجها الى حيز الوجود على نطاق عملي رائج ، ينبغي على صائدي الاسماك الاستمرار في الصيد بالوسائل الحالية المتوفرة .

وبفضل التقدم الذي طرأ على صناعة السفن غدت رحلات الصيد تقطع في بضعة أيام أو ساعات بعد ان كانت فيما مضى تقطع في عدة أسابيع . فكل بلد من بلدان العالم الواقعة على البحار والمحيطات تحاول زيادة حاصلاتها البحرية باستخدام شتى الطرق والوسائل الحديثة المتطورة . ولذا فاننا نأمل أن يتوصل العالم الى جمع المزيد من هذه الثروات البحرية الهائلة لسد حاجة الملايين المتزايدة من سكان العالم الى المواد الغذائية الضرورية .

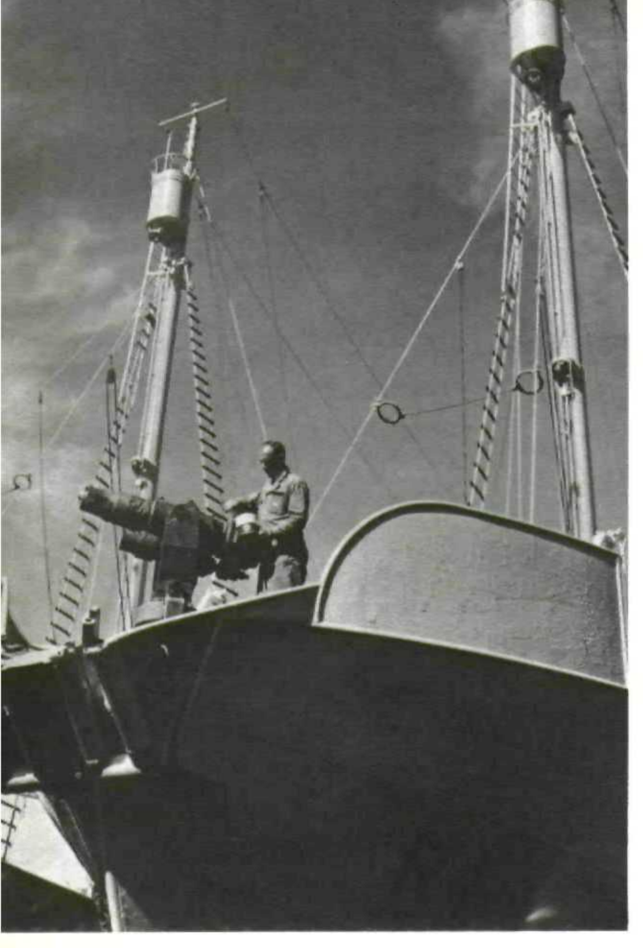
ترجمة : فريال قطّان

باذن خاص عن مجلة « اويل بروجرس » التي تصدرها شركة « كالتكس » للزيت .





فريق من رجال الصيد السعوديين وقد استقلوا مركبا للصيد تمهيدا لرحلة طويلة في وسط مياه الخليج العربي .



بلاد النرويج من البلدان المعروفة بصيد الحيتان ، ويبدو هنا احد رجال الصيد النرويجيين يشحم حربة خاصة بصيد الحيتان تمهيداً للصيد .

صيد الاسماك من الهوايات المحببة لدى الكثيرين من سكان المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية . ويبدو هنا اثنان من مراكب الصيد قد انطلقا من فرضة راس تنورة في رحلة للصيد .

قصة قصيرة

إمرأة أبيه...

بقلم : الاستاذ محمد صالح ابراهيم

كان جالسا حيث قضى صلاته على الحصير البالي في غرفة صغيرة من غرف الدار وفي عينيه بريق دمع وعلى شفتيه رعشة . فلما دخل عليه أبوه الحاج محمود وقد عاد لتوه من المسجد ، نهض قائما وتناول يده وقبلها كما هو شأنه في تحية أبيه كل صباح . ولم يكن مقدم أبيه في تلك الساعة المبكرة وهو على تلك الحال من الحزن والأسى مفاجأة لأحد منهما . كان حسان يعلم أن أباه تعود في الأشهر الأخيرة أن يبادر اليه في غرفته في ذلك الوقت من كل يوم . وكان الحاج محمود يعلم أن ابنه ما زال يعاني من لوعة الحزن على أمه التي قضت نحبها منذ ثلاثة أشهر . ومضت برهة ساد فيها السكون ، كان حسان يستمع خلالها الى أبيه يتلو في همس وخفوت بعض آي الذكر الحكيم . فلما فرغ من تلاوته قال : يا ولدي ان ما قدر كائن ، ان الله سبحانه أمرنا بالرضا لا بالحزن . ويشهد الله اني تزوجت بفاطمة حتى لا تنقطع حياتك في درب موحش لم تألفه ، فهي تعطف عليك عطف الأم على ابنها ، فما بالك هل تشكو من شيء ؟ يا فاطمة ! فاطمة !

ونهض حسان وحيا امرأة أبيه وهي تبتسم في وجهه وتلاطفه وتسأله كيف نام وكيف أصبح ثم تدعوه لطعام الافطار والاستعداد للذهاب الى المدرسة ليصبح رجلا ذا شأن ومستقبل .. ومضت الأيام والشهور وحسان يستمتع برضا أبيه وحبه اياه ، وعطف فاطمة عليه ورعايتها له . وكان يجد منها في بعض الأحيان غلظة في القول وقسوة في المعاملة ولكنها سرعان ما تبدي أسفها لما حدث منها فينتهي الأمر وكأن شيئا لم يكن .

وعاش حسان في بيت أبيه أياما سعيدة تجتاحها بين حين وآخر ذكرى أمه الحبيبة والكلمة العجيبة التي فاهت بها زوجة أبيه عن غير قصد . لقد أثارت تلك الكلمة اهتمامه الى حد بعيد ، واندست في ذهنه الصغير كالشيء الغامض المتردد يدركه ولا يدركه وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره . ففي كل صباح . وهو يتأهب للذهاب الى المدرسة . يشعر بحرارة الكلمة في رأسه فيرددها لسانه دون وعي منه « سأصبح رجلا ذا شأن ومستقبل » .

وهكذا قضى حسان شطرا من حياته تداعبه الأماني العذبة الندية حتى جاء اليوم الذي سكنت فيه نغمة الأماني وأصبح يعيش في جو خانق ، اضطر فيه الى غسل ملابسه بيديه وان يذهب الى المدرسة في معظم أيامه دون إفطار ،واذا عاد منها لا يحس بعودته أحد ، وها هوذا يترقب مجيء أبيه من المسجد في الصباح ، ويهفو لتقبيل يده والجلوس بجواره والاستماع لتلاوته كالعادة ، فيحزنه أن يرى أباه وقد عاد من المسجد ، يحييه بايماءة من رأسه . فلا يدخل عليه ولا يقف عند بابه بل يمضي توّا الى الغرفة المجاورة . فأحس حسان بالحقد والكراهية لتلك الغرفة التي استأثرت باهتمام أبيه . تلك الغرفة التي تثير في نفسه الرعب والمقت كما تثير ذكريات لأمه كانت تقصها عليه فيما تقص عن مولده ورضاعته ..

واحتمل حسان هذا الجو البغيض الى نفسه ، هذا الجو الذي جعله يشعر أول مرة في حياته بأنه غريب في بيت أبيه . وان فاطمة لم تعد تحتمل النظر اليه بعد أن أصبحت أما ، فنبذته وضاقت به ذرعا . وبعد ان كانت تشجعه على الدرس وتمنيه بشأو لا يدرك ، ومستقبل ليس له مطلع لناظر . أصبحت تزري به وتصفه بالخمول والضعة ، وتطمس كل أمل له في الحياة . ومرت الأيام تباعا وحسان يعاني من كيدها واضطهادها ، حتى اذا بلغ السيل الزبى ، لم يعد يحتمل الاغضاء على الذلة فثار في وجهها : « أليس هذا بيت أبي ؟ » فأجابته في خبث وغيظ : « أجل انه بيت أبيك لا بيتك فينبغي أن تفهم ذلك » . فغضب غضبا شديدا وصاح في وجهها : « بيت أبي بيتي وأنت غريبة هنا . فينبغي أن تفهمي ذلك » . وهنا دخل أبوه عليهما فلم تمهله حتى جأرت بالشكوى والاحتجاج : « ان ابنك ناكر للجميل ، يشتمني ويسيء اليّ ويقول اني غريبة في هذا البيت . انه أصبح خطرا عليّ وعلى طفلي .. » .

فثار حسان لهذا الادعاء وأعماه الغيظ عن وجود أبيه فقطع عليها الحديث : « أنت امرأة شريرة .. شريرة .. » . فأثار بذلك غضب أبيه عليه : « لقد تغيرت يا حسان وأصبحت لا تطاق » قال حسان : « أتريد أن تطردني يا أبت من أجل هذه المرأة ؟ » . وحينئذ ازداد غضب أبيه فانتهره وعلى غير وعي منه طرده من البيت .

° ° °

خرج حسان الى الشارع هائما على وجهه لا يدري أين يذهب . لقد افترق عن أبيه بعد ان افتقد أمه . تلك حقيقة لا ريب فيها وقد عبرت عن نفسها بالدمع الهتون . ولم يطل الحال بحسان فقد أحس بالقوة والثقة بالنفس والايمان بالله . كفكف من دمعه وأخذ يفكر في أمره . لقد أخرج من البيت الذي يؤويه ويطعمه ، أحس بأنه رجل وينبغي للرجل أن يعتمد بعد الله على نفسه . فليخرج من هذا الجو اذن ، ليخرج من هذا البلد . وتحسس جيبه . لقد كان يحمل نقودا تكفيه شر العوز في يومه ، فتنفس الصعداء وحمد الله على السراء والضراء .

كان القطار يطوي الأرض طيا وفي جوفه ذلك الطفل الكبير « حسان » . وقد انطوى على نفسه ولزم الصمت فلم يتحدث الى أحد أو يحدثه أحد ممن كانوا معه في المقصورة . كان مشغولا بنفسه ، ولم يحدد وجهته عندما ركب القطار ، أو لم يفكر وقتئذ الا في شيء واحد هو البعد عن المدينة ومن فيها . وتوقف القطار في أول محطة ، وأطل حسّان من النافذة على قرية صغيرة مقفرة الا من ناظر المحطة وظلام الليل ، فرد بصره عنها . وتحرك القطار تابعا سيره في قلب الصحراء بسرعة هائلة وضجيج رتيب . وأخـذ حسان يتابـع الضجيج بفكره ويشايعه بحواسه وأخيرا غلبه النعاس فنام .

واستيقظ حسان على أضواء الفجر ونظر حوله فلم يجد أحداً في المقصورة. وطاف بذهنه الحصير البالي ووجه أبيه الصبوح . ولـما أطلّ من النافذة رأى مشهدا لمدينة كبيرة . لقد وصل القطار آخر المطاف ونزل جميع الركاب . وفي اللحظات التالية كان حسان يقيم صلاة الصبح على أرض المحطة . فلما فرغ من صلاته أخذ يسير في طرقات المدينة على غير هدى يتلفت ذات اليمين وذات الشمال ويتطلع بعينيه الى كل شيء . انه غريب هنا . لا بأس ! كانت أول فكرة طرأت على باله أن يسعى للعمل ، وتوقف عند دار تعج بدوي هائل لم ير مثلها من قبل ، وكأنها الحياة في صخبها وضجيجها . وتطلع الى اللافتة على بابها الكبير « مصنع للسيارات » فولج دون تردد ، وعرف طريقه الى صاحب المصنع في مكتبه الرحب :

« يا عم أريد عملا أي عمل أقتات منه . اني يتيم » .

° ° °

قضى حسان يوما صاخبا بين الآلات المدوية والعمال الأقوياء الذيـن يروحون ويغدون في حركة دائبة وفي نشاط منقطع النظير وعلى وجوههم البشر والبشاشة . الأمر الذي رفه عنه وأنساه كل مكروه . ولـما انتهت ساعات العمل ، وتوقفت حركة الآلات ونشاط العمال ايذانا بالانصراف ، ظهر صاحب المصنع وأقبل بوجهه على حسان واقتاده الى مكتبه ، ثم اصطحبه الى حجرة داخل المصنع . انها منزله الذي يقيم فيه . ودعاه لتناول الغداء معه وأخذ يسأله عن أمره . قال حسان : « لقد توفيت أمي منذ عامين وتزوج أبي بامرأة أذلتني وفتنتني مع أبي حتى طردني من بيته » . فتأثر صاحب المصنع مما سمع وقال : « لا تحزن يا بني فلقد كنت متزوجا بامرأة مثلها . اني أدرك ما يعانيه المـرء من النساء الطالحات » . فسأله حسان : « وأين هي الآن يا عم ؟ » قال : « لقد ذهبت الى حيث لا أدري . اني لم أحتملها يا ولدي . سرّحتها مضطرا ونادما . » قال حسان : « وفيم الندم يا عم ؟ » فأجاب : « لأني أعلم انها وحيدة لا أهل لها ولا عائل . وقد بحثت عنها لكي أؤويها رحمة بها ولكني لم أجد لها أثرا » . قال حسان : « وهل أنت تعيش وحدك أليس معك أحد ؟ » قال : « لا أحد غير هـذا الخادم العجوز » . قال حسان وقد عاودته ذكرى أبيه : « لقد استأثرت فاطمة بأبي وانتهيت » — وخنقته العبرة وألجمت لسانه . فتأثر الحاج عمر صاحب المصنع بما سمع وقال لحسان : « هون عليك يا ولدي فلا تحزن . انك من الآن ابني وأنا أبوك » .

° ° °

عاش حسان في كنف الحاج عمر واطمأنت نفسه اليه . وقضى أياما سعيدة الا انه كان كلما طلع الفجر تراوده ذكرى أبيه فتنحدر من عينيه الدموع فتتساقط على البساط الفاخر مثلما كانت تتساقط على ذاك الحصير البالي . ومضى عام وعامان وحسان يمارس عمله في المصنع في جد ونشاط حتى برع فيه وأصبح له شأن ، وكسب رضاء متبنيه الذي أحبه واصطفاه . بيد أن ذكرى أبيه كانت تعذبه . فاغتنم فرصة الاجازة وسافر الى بلد أبيه يغالبه الشوق والحنين حـتى وقف بالباب . وفيما هو كذلك يفكر في الولوج اذا بامرأة تقدم من خلفه تحمل في يدها رغيفا وعليها رداء مهلهل متسخ . فلما تبينته قبل أن يتبينها ندت عنها صرخة : حسان ! فصرخ هو الآخر : أمي فاطمة ! وفي هذه اللحظة خرج من البيت طفل صغير عاري البدن تبلل خده الدموع ولم ينقطع عن البكاء فألقت اليه الرغيف فسكت فجأة ..

° ° °

لاحظ الحاج عمر تغييرا طرأ على حسان بعد عودته من الاجازة . فهو ساهم واجم أبدا . ماذا دهاك يا بني ؟ لا شيء يا أبت . وكل ما أرجوه منك أن تأذن لي أن أشكرك وأقدر فضلك الذي لن أنساه . فلقد أصبحت بفضلك صانعا ماهرا أستطيع أن أعتمد على نفسي . وانه ليصعب عليّ فراقك . واغرورقت عيناه بالدموع . ودهش الحاج عمر وقال : « ماذا ؟ فراقي ؟ ! هل حدث مني ما أساء اليك يا ولدي؟ » قال حسان : « لم يحدث الا كل خير . واني قد وجدت في كنفك ومن رعايتك وحدبك أكثر مما كنت أطمع . ولـما ذهبت في اجازتي الى بلدي علمت أن أبي مات بعد خروجي من منزله بوقت قصير . مات من اليأس والحزن علي . مات قبل أن ارتد اليه فيصفح عني » . وعاد حسان يجهش بالبكاء . ثم استأنف القول : « وان أخي من أبي يكابد مع أمه آلام الفقر والجوع فلا يجدان قوت يومهما . فقد عاش أبي فقيرا ومات معدما . فأذن لي أيها الأب الكريم بالذهاب لكي أكون الى جوارهما وأقوم بكفالتهما . ان علي دينا لأبي أريد أن أوفيه لعل الله يغفر لي » .

سمع الحاج عمر ما سمع بدا عليه التأثر الشديد ، ومع ذلك فقد رفض وأصر على الرفض : اني لا أسمح لك بالبعد عني . فأنت ولدي وولدي الوحيد ولن يفرق بيننا الا الموت . فغم على حسان وأحس بالأرض تميد من تحته وكاد يغمى عليه . وعاد الحاج عمر يقول : « أود أن أقول لك شيئا كنت أخفيه عنك . اني قد سجلت هذا المصنع باسمك ، انه لك . فليس لي وريث سواك . أما عن امرأة أبيك وولدها فلا تحزن . اني سأضع لهذا الأمر حلا يرضيك .

قال حسان لامرأة أبيه لقد فتح الله علينا . ان أبي الحاج عمر رجل كريم طيب القلب . لقد طلب مني أن آتي بك وأخي الصغير لنعيش جميعا في كنفه . قومي ، هيا بنا . ان موعد القطار قد أزف .

° ° °

كان الحاج عمر قد عاد من المسجد قبل طلوع الشمس ، وأخذ في غرفته يتلو كالعادة ما تيسر من آي الذكر الحكيم عندما دخل عليه حسان ومن ورائه أخوه الصغير وامرأة أبيه . فلما رآها الحاج عمر انتفض قائما وصاح قائلا : هو ذي أنت يا فاطمة ؟ ! وسقطت فاطمة على الأرض تبكي بكاء مرا . ودهش حسان من هذا الذي يجري أمام عينيه ، وقال : « أتعرفها يا أبي ؟ » فأجاب : رحم الله أبـاك يا ولدي . ألم أقل لك اني كنت متزوجا امرأة وتركتني ، انها فاطمة هـذه ، وها هي قد عادت الى بيتها ، بعد أن صقلتها الأيام . ادخلي بسلام . فحسان ولدي وأخوه ابني وأنت أمهما وسأتدبر الأمور والله هو الغفور الرحيم .

تطور اللغة ومكانتها من الفكر..!

بقلم : عمر الطيب الساسي طالب سعودي في جامعة مونستر بألمانيا الغربية

ما هي اللغة ؟ وكيف بدأت ؟

منذ وجد الانسان ، وجد معه عقله المفكر . وفي الوقت الذي بدأ في استعمال هذا العقل ، بدأ البحث عن وسيلة يعبر بها عما يجول في خاطره .. فاستعمل لذلك الاشارة ، ثم الصورة – مرسومة أو منقوشة – كما تدل على ذلك الآثار التي تركها منذ آلاف السنين فراعنة مصر القدماء وغيرهم من الأمم السالفة ، فكانت أول أثر علمي مادي معروف عن أقدم لغة كتابية في تاريخ الانسان ! .

ولكن اللغة ليست كتابة فقط ، فالانسان لا يحتاج الى اللغة المكتوبة الا في ظروف معينة ، تفرضها عليه ظروف خاصة ... كأن يود أن يحفظ أفكاره ليطلع عليها من يأتي بعد موته ، أو ينقلها الى انسان آخر يعيش بعيدا عنه . لا بد وان تكون هنالك مرحلة لغوية أخرى أهم من هذه قد مر بها تاريخ الانسان اللغوي . فما هي هذه المرحلة ؟ وما هي أهم خواصها ؟.. انها بلا شك مرحلة الصوت والنطق والتعبير ، وهي أساس لغة التخاطب والتفاهم . والصوت كما هو معروف ، ينطلق من الفم عن اهتزازات تحدث في حبال خاصة في الحلق .. تعرف طبيا باسم « الحبال الصوتية » ، وهذه الاهتزازات تحدث بأمر أو اشارة خاصة ترسلها منطقة معينة في الدماغ حسب الحاجة ، فيتحرك بموجبها اللسان والشفتان في صوت معبر ناطق .. وأنقل في هذا الصدد ما يقوله فقيد الفكر العربي الأستاذ عباس محمود العقاد ، في الجزء الثاني من كتابه « الانسان في القرآن الكريم » ما نصه : « .. ففي صدد الكلام على التطور الانساني ، وعلى تطور الانسان الناطق بصفة خاصة ، يحق للباحث أن يشير الى دلالة الدراسات اللغوية على مكان اللغة العربية من التطور وتحقيق الخاصة الانسانية الكبرى وهي خاصة النطق والتعبير . »

ويجدر بنا أن نتساءل عن أول صوت نطق به الانسان .. ولعدم وجود أثر علمي مادي نبني استدلالنا عليه – كما حدث في لغة الكتابة مثلا – فلا مندوحة لنا اذن ، عن اللجوء الى البديهة . فبناء على ذلك نستطيع القول بأن أول صوت انطلق من فم الانسان كان صيحة ، أراد بها التعبير عن شعور خاص خالجه . ويقول في ذلك فقيد الفكر العربي الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه السالف الذكر ما نصه : « .. وربما اتفق اللغويون على قواعد عامة ، عملت في تطور هذه اللغات جميعا ولا تختص بها لغة منها دون سائرها . ومن هذه القواعد العامة أن الكلمات الانفعالية التقليدية أسبق من الكلمات الارادية الفكرية ويريدون بالكلمات الانفعالية ما يصدر عن الانسان عفوا من الأصوات والصيحات التي تعبر عن الفرح أو الفزع أو الدهشة ، وما تكون الكلمة فيه أحيانا من قبيل المحاكاة الصوتية : (Onomatopaeic) كاسم البلبل ، وألفاظ الدق ، والقطع ، والوسوسة ، وما جرى مجراها . »

كما يجمل بي هنا أيضا أن أنقل ما ورد بهذا الصدد في كتاب « دراسة الانسان » تأليف العالم الأمريكي الشهير « رالف لنتون » (Ralph Linton) وترجمة الأستاذ عبد الملك الناشف ، ما نصه : «كان استعمال اللغة عاملا من أعظم العوامل أهمية في دفع تقدم الثقافة وايصالها الى حالتها الراهنة . ومن الصعب أن نشك في أن النطق البشري تطور من صراخ الحيوان ، بيد أننا لا نعرف متى أو كيف تم لأسلافنا اتخاذ الخطوة العظيمة الأولى التي تمخض عنها استعمال مجموعات من الأصوات للتعبير عن الأفكار . » ولو نظرنا الى تاريخ حياة كل انسان منذ ولادته حتى بدئه تعلم الكلام واتقانه له ، وجدنا انه يثبت ما أشرت اليه ويؤيده ، فالانسان يواجه الدنيا أول ما يواجهها بصيحة ، لا نشك في أنه يريد بها التعبير عن شيء ما ، ربما كان خوفه أو استغرابه أو دهشته مما يواجهه في هذه الحياة ، ثم يستمر في الاعلان عن احساسه والتعبير عن حاجته بصيحات . فاذا أرهفنا السمع اليها ، لوجدناها تختلف عن بعضها البعض ، باختلاف الدافع لها ... فاذا جاع مثلا صاح منبها من حوله بحاجته الى الطعام ، واذا شعر ببرد نبه من حوله بصيحة أخرى . وهكذا بدأت لغة الانسان الأولى ، بصيحة ثم تعددت الصيحات وأخذت تتعقد ، بتعدد شعور الانسان ، وتعقد أموره وتنوع حاجته . فأصبح لصيحة الخوف مثلا مخرج وسمة غير مخرج وسمة صيحة اعلان السلام ، الخ . وبعدها تمكن الانسان من التحكم في اهتزازات الحبال الصوتية ، وضبط مخارج تلك الصيحات التي تطورت فيما بعد الى مخارج لحروف مختلفة ، والحرف وحدة الكلمة . ثم رتب الانسان الكلمات في جمل أخذت تزداد تنظيما وتنسيقا بمرور الزمن . وهكذا نشأت أول لغة في تأريخ الانسان .

يصعب على الباحثين اليوم تحديد اسمها ، أو العثور على نصوص منها ، وأنقل هنا ما ورد بهذا الصدد في كتاب « رالف لنتون » السالف الذكر حيث يقول : « ان أصل اللغة وتطورها سيظلان دوما مجالا واسعا لمختلف الاجتهادات الفكرية وستظهر تكهنات تنم عن براعة في التفكير ، لكن تأييدها بالحقائق لن يكون ممكنا أبدا . أما وظائف اللغة فبالامكان التحقق منها بسهولة أكثر من أصلها وتطورها ، فاللغة أداة لكل من الفكر والاتصال » .

هل تتطور اللغة ؟ كيف ولماذا ؟

مما لا نشك فيه ، أن الانسان بدأ الحياة كفرد .. هذا ما اجمعت عليه الأديان السماوية ، وكما ورد في محكم القرآن المبين في الآية الكريمة من سورة الأعراف : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين . » ولا بد أن هذا الرجل الأول « آدم » اضطر الى التفاهم مع زوجته « حواء » بلغة ما . ثم حملت الزوجة ، كما تثبت ذلك الآية الكريمة السالفة الذكر ، وبعد الحمل ولدت فتكونت آنذاك أول جماعة أو أمة انسانية ، ولا شك أن الحياة بدأت بأمة واحدة ، كما تنص على ذلك الآية الكريمة من محكم الكتاب المبين في سورة يونس : « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقُضي بينهم فيما فيه يختلفون » . وفي سورة البقرة : «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » . ثم تكاثر الناس ، فلم تعد تسعهم البقعة التي وجدوا عليها لأول مرة ، خاصة بعد أن دب الخلاف بينهم ، فكان لا بد لبعضهم أن يرحل بحثا عن موقع آخر يعيشون فيه في رغد وراحة ، فاختلفت عليهم ظروف الطبيعة والمعاش عن ظروف المكان الأول ، فتأثرت لغتهم بما جد في حياتهم ، وكان لا بد أن يطرأ عليها شيء من تجديد وتغيير واختلاف .

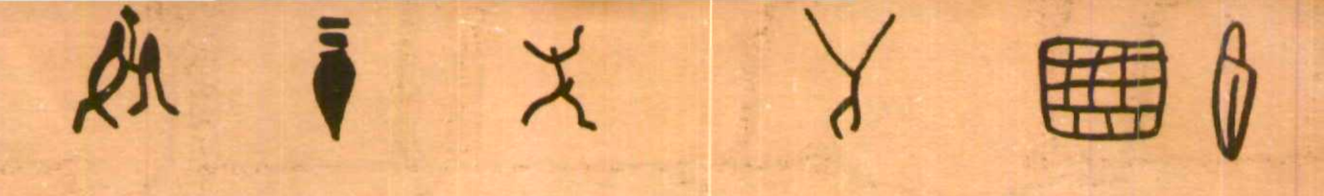
وهكذا ، كلما زاد تكاثر الناس على بقعة ما من الأرض زادت حاجة بعضهم الى الرحيل والهجرة . ويرجح انه مع كل هجرة جديدة ، كانت تولد مبادىء لغة جديدة . ولا يعنى بهذا أن هذه اللغة الجديدة كانت قائمة بذاتها ، منفصلة عما سواها ، بل ان ما قصدت الاشارة اليه هو على النقيض من ذلك تماما ، فسنة التطور التي تجعل كل شيء يبدأ صغيرا ثم يكبر ، لا تدع لنا مجالا للشك في أن كل لغة بدأت أساسا كلهجة محلية متفرعة عن لغة رئيسية كانت قد تفرعت أساسا عن لهجة ما للغة رئيسية . وتحول اللهجة المحلية الى لغة رئيسية كان يتم دائما تحت ظروف كثيرة وعوامل عدة ، أهمها السياسية ثم يليها الاجتماعية والمعيشية كما حصل في اللغة الهولندية التي كانت تعتبر حتى القرن الخامس عشر لهجة ألمانية محلية ثم فرضت كلغة رسمية لسكان هولندا لها قواعدها الخاصة وأصول نحوها المختلفة .

والدليل على صحة النظرية السالفة الذكر واضح جلي فاننا نجد اليوم أن اللغة الواحدة ، تختلف عند الأمة الواحدة التي تتكلمها ، ليس في طريقة ادائها والتلفظ بها فحسب ، بل وفي جزء كبير من قواعدها وأسسها . فاذا أخذنا اللغة الألمانية الحديثة كمثال نطبق عليه رأينا هذا ، فسنجد أن لهجة « البافاريين » بجنوب ألمانيا تختلف كل الاختلاف ليس في نطقها فحسب بل وفي كثير من مفردات كلماتها وقواعد نحوها عن لغة سكان برلين أو لغة البروسيين الشرقيين وهم سكان ولاية « بروسيا الشرقية » الواقعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تحت سيطرة جمهورية بولندا — وكمثال صغير على ذلك الاختلاف نذكر أن ضمير المتكلم في اللهجة البافارية هو (I) بينما هو (Icke) عند البرلينيين وسكان بروسيا الشرقية وهو في الحالتين غيره في الالمانية الفصحى (Ich) وهكذا في بقية الضمائر والمفردات والقواعد . وينطبق المبدأ نفسه على سكان ولايتي « سكسونيا وسكسونيا السفلى ، الذين تختلف لغتهم الاختلاف كله عن لهجة الألمان الذين يعيشون على ضفاف نهر الراين . واذا وجد أحد أبناء « هامبورج » نفسه وسط مجموعة من سكان ولاية « وست فالن » فانه يكاد يشعر بغربته لعدم تمكنه من الفهم التام لما يقولونه بلهجتهم الخاصة . ولهذا يلجأ الجميع الى التخاطب والتفاهم بالألمانية الفصحى التي تدرس في جميع المدارس الألمانية كلغة رسمية للأمة . وهذا هو الحال دائما في كل لغة وعند كل أمة ، منذ وجد الانسان على هذه الأرض وحتى يومنا هذا والى يوم يبعثون . واذا نظرنا الى لغتنا العربية في ماضيها وحاضرها فسنجد الحال فيها مطابقة لما هي عليه في اللغة الألمانية وغيرها .. فالعربي الذي يسكن أعالي الصعيد يكاد لا يفهم لهجة أخيه العربي الذي يسكن ربوع نجد أو الحجاز ، والعربي في شمال أفريقيا يوشك ألا يفقه شيئا من لهجة أخيه العربي في العراق أو لبنان .

وفي كل عصور التأريخ التي مرت بها الانسانية ، كانت تمر بلغة الانسان ظروف كالتي تعيشها اليوم .. لغات رئيسية تتفرع عنها لهجات محلية . .ثم تتحول اللهجات الى لغات .. وهكذا حلقة متصلة ذات قاعدة واحدة .

ولم تكن اللغة « الهندوجرمانية Indo Hermanisch » ، التي يعتبرها علماء اللغة أساسا لمعظم لغات شعوب أوروبا وآسيا وأمريكا ، أصلا ومنشأ سوى لغة واحدة ذات لهجات قليلة مختلفة تحدثت بها القبائل الجرمانية التي سكنت وسط أوروبا ثم غزتها من شمالها وجنوبها وشرقها وغربها حتى وصلت الى شمال أفريقيا في بعض غزواتها . وكانت كل فئة من هذه القبائل الجرمانية الغازية المهاجرة والراحلة تتخذ لها لهجة محلية في موطنها الجديد الذي غزته .. وبمرور الزمن وفعل عوامله الكثيرة المختلفة وتأثيرها ، أخذ الاختلاف بين هذه اللهجات المحلية والجرمانية الأم يشتد ويقوى ، حتى تحول الكثير من تلك اللهجات الى لغات رئيسية لها نحوها وقواعدها ولهجاتها المختلفة .

فالأنجلوسكسون وهم جماعة من القبائل الجرمانية كانت تسكن على نهر الألبة في الشمال مما يعرف اليوم بألمانيا . ثم قامت هذه الجماعة من القبائل في القرن الخامس الميلادي بغزو بريطانيا واجلاء سكانها الأول واتخذت تلك



الجماعة الجرمانية لهجة لها لم تكن بادىء ذي بدء سوى لهجة جرمانية محلية . تحولت بمرور الزمن وتأثير عوامله السياسية والاجتماعية الى لغة رئيسية كبرى تحتل اليوم مكانة بارزة بين جميع لغات العالم الا وهي اللغة الانجليزية .

وكذلك حال اللغة الهولندية فقد بدأت أصلا كلهجة محلية للقبائل الجرمانية التي سكنت المناطق المنخفضة على نهر الراين وبقيت حتى القرن الخامس عشر لهجة محلية فقط لسكان هولندا وجيرانهم من سكان ألمانيا ثم تحولت بتأثير عوامل كثيرة الى لغة رسمية لهولندا التي انفصلت سياسيا عن « الرايخ » الألماني . وكان أكثر أدباء هولندا ومفكريها يكتبون شعرهم ونتاجهم بالالمانية الفصحى وأخص منهم بالذكر الشاعر الهولندي الشهير فان روتردام . وحتى الجرمانية الأم لم تبق على حال واحدة منذ نشأتها . بل هي أيضا في تطور وتغير دائم مستمر . وتاريخ تطور مجموعة اللغات السامية يوشك ألا يختلف عن تاريخ تطور « اللغات الجرمانية » . فهي الأخرى سايرت سنة التطور فكانت دائمة التمخض عن لهجات ولغات اندثر معظمها . ولم يبق منها سوى العربية والعبرية .

ولا مجال للشك في أن اللغة العربية الحديثة هي التي أتى بها القرآن الكريم مجمعة لشمل الأمة العربية وموحدة للسانها لمختلف اللهجات . وكانت لغة الاسلام . هي لغة عرب الحجاز وهم من العدنانية المستعربة وهي غير لغة القحطانية العاربة وغير لغة أسلافهم من عاد وثمود التي لا نعرف عنها شيئا مطلقا غير ما أخبرنا به القرآن في ايجاز .

ومما هو متفق عليه أن العرب ينقسمون الى فئتين : قحطانية تسكن اليمن وتمثل العرب العاربة . وعدنانية تسكن الحجاز وتمثل العرب المستعربة . فكان لعرب الحجاز لغة خاصة بهم لا شك في اختلافها عن لهجة عرب قحطان كل الاختلاف .. ويقول في ذلك الدكتور طه حسين « ومن المتفق عليه أن القحطانية عرب فطروا على العربية فهم العاربة وعلى أن العدنانية قد اكتسبوا العربية اكتسابا فقد كانوا يتكلمون لغة أخرى ثم تعلموا لغة العرب العاربة . فمحت لغتهم الأولى من صدورهم وثبتت فيها هذه اللغة الثانية المستعارة .

ومما يثبت اختلاف عربية القحطانيين عن عربية العدنانيين . اللتين وحد بينهما الاسلام المجيد . ما يروى عن أبي عمر بن العلاء . وهو عدناني أنه قال : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » وقد أورد هذا القول الدكتور طه حسين في كتابه « في الأدب الجاهلي » .

وقد أصدرت كلية آداب جامعة القاهرة في سنة ١٩٣٠ . رسالة للعالم اللغوي والمستشرق الأستاذ جويدي يثبت فيها بالبرهان القاطع شدة الاختلاف بين عربية قحطان وعربية عدنان . وكانت الرسالة باللغتين العربية واللاتينية وعنوانها « المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة » حيث يقول : « فالرواة مجمعون على أن قبائل عدنان لم تكن متحدة اللغة ولا متفقة اللهجة قبل أن يظهر الاسلام فيقارب بين اللغات ويزيل كثيرا من تباين اللهجات . »

وخلاصة ما قصدت الاشارة اليه بكل ما ذكر . هو أن جميع اللغات . مجتمعة ومنفصلة . انما هي ذوات أصل واحد . نشأت كلهجات محلية ثم تطورت بمرور الزمن وتمخض عنها أو تحولت بذاتها الى لغات . وضع لها علماؤها وفقهاؤها قواعد وأصولا . حماية لها ومحافظة عليها ، ولكن سنة التطور في الحياة جعلت هذه اللغات تتمرد أحيانا على ما وضع لها العلماء من أصول فكانت دائمة التغير والتطور في حلقات متشابكة متماسكة لا نهاية لها ولكنها ذوات قاعدة متحدة .

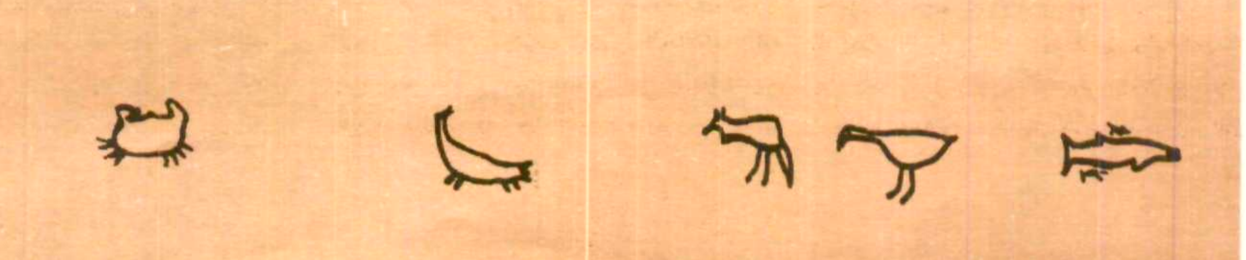
مكانة اللغة من الفكر ..!

وكل ما في الدنيا من لغات . وكل ما نطق وينطق به البشر . ما هو الا ترجمة لما يتمخض عنه فكر الانسان . بل هو الفكر الانساني ذاته في شكل كلمات وأقوال .. ولنا أن نتصور مدى التأخر والانحطاط الذي يحل بالبشرية لولا نعمة اللغة التي وهبنا اياها الخالق جل شأنه .

فباللغة وحدها . في جميع صورها وأشكالها . أمكن نقل المعرفة كاملة غير منقوصة من جيل الى جيل . وبفضل اللغة يستطيع بعض الناس نقل أفكار واضحة عن أوضاع ومشاكل خاصة مرت بهم الى البعض الآخر مع ما ينبغي اتخاذه من مسلك ازاء تلك الأمور . وبهذا يزداد حجم التراث الانساني الاجتماعي . والثقافي .

ويقول في ذلك . العالم الاجتماعي الأمريكي رالف لنتون ما نصه : « .. وقد لعبت اللغة . من حيث هي أداة للاتصال . أهم أدوارها في بناء التراث البشري الاجتماعي . فهي التي تساعد على نقل الأفكار بدقة وسهولة . ولولا قيامها بهذا الدور لما استطاعت الثقافة كما نعرفها أن تظهر الى الوجود . »

وستبقى اللغة دائما . كما كانت . الميزة التي ميز الخالق سبحانه بها الانسان وفضله عما سواه وما دونه من مخلوقات وكائنات .. فسبحان الذي « علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .





رسائل الى ابن اختي .. للكاتب الهندي نارايان ..

يقدمها : الاستاذ مبارك ابراهيم

يقول الكاتب : – هذه رسائل كتبها خال الى ابن أخته الوليد الجديد .

الرسالة الأولى

أيها الرجل الصغير :

لا أقل من سطر أكتبه مرحبا بمجيئك الى هذه الدنيا فقل يا وليدي : ما طعمها ؟ انها ملأى بكل شيء يبهر النظر . أليس كذلك يا بني ؟ انه سوف يكون لزاما عليك أن تعتادها ..

ولقد قيل لي انك صرخت صرخة مدوية ساعة ان وطأت قدماك هذه الأرض .. وهذه دلالة طيبة تنبيء بأنك متجاوب تماما مع مقتضيات أحوالنا ..

انك يا وليدي ما زلت في أسوأ حالة من حالات الجهل .. واني لأظن ان اهتمامك الوحيد الآن قاصر على ملء ملعقة من شراب السكر الذي يقطرونه فوق لسانك بين آونة وأخرى .. وكل هذا حسن جدا أيها الرجل الصغير .. ولكن هناك أشياء أخرى ستلي ذلك .

الرسالة الثانية

انها في الحق قطعة تمثيلية بارعة ! لقد جاءني أبوك وقد بلغ بـه التأثر مبلغه .. ويبدو انك ابتسمت في وجهه بالأمس . وكان ذلك في الساعة الخامسة صباحا . فقد أزاح الستار ، وتطلع الى مهدك ساعة أن أحس باهتزازة خفيفة .. فماذا حدث بعد ذلك؟ لقد تلوى جسمك الصغير . ونظرت اليه بطرف العين . ثم ألقيت اليه بابتسامة من فم صغير .. فكاد يطير من الفرح .. ثم راح فأيقظ أمك لتشهد المعجزة .. فأسرعت اليك . ولكنك سرعان ما غيرت رأيك . ورفست رفسة أو رفستين ، ثم صرخت .. ويؤكد أبوك أنك فعلت هذا لأنه لم يبد تقديرا صادقا لبراعتك . وذلك بأن يضمك بذراعيه .. والأبوان يميلان دائما الى استنتاج معاني كثيرة من مثل هذه الحركات ..

الرسالة الثالثة

الحق أن بروز السن الأولى هو مهمة ثقيلة .. ويبدو أن أغلبية أفراد مجتمعنا تختلف اختلافا بينا في تحمل هذه العملية . ومـع هذا فاننا نجتازها دون ما ضرر كبير .. فـلا يحزنك هذا الأمر وتحمله بصبر وارتياح كما يفعل الرجل القوي .

الرسالة الرابعة

انك تظن أن بلوغك السنتين يجيز لك أن تفعل ما بدا لك .. ولكني أنصـح لك ألا تستعجل الأمر فتستعمل هذه الحرية فوق سلم البيت . فهذا عمل ينطوي ، كما تعرف ، على أخطار محققة .. ولا تعجب ان لم تحتملك قدماك الى أكثر من نصف الطريق وأنت تصعد الدرجات ثم تتعثر فتسقط .. ان كل من كان في مثل سنك – مهما تكن أنت كبير الثقة في كفايتك وقدرتك – لا يزال غير قادر على مقاومة ثقل الجاذبية الأرضية .. فعليك أن تجعل هذا الأمر نصب عينيك يوم تحاول السير مرة أخرى بخطواتك القصيرة حول البيت ..

ولقد أحسست بالأسى والأسف البالغين ساعة ان رأيت أنفك وقد احمرت وتورمت . حتى لقد كدت ان لا أعرفك أيها الفتى العزيز .. ولقد اعتقدت أمك ان شدة الصدمة التي أصابت رأسك قد صدعت عظام جمجمتك .

الرسالة الخامسة

بالله قل لي يا صغير : لماذا عاملت بنت الجيران تلك المعاملة الخاطئة القاسية ؟ أظنك فعلت فعلتك لأنها لم ترض أن تتخلى لك عن نصف البرتقالة التي كانت في يدها بعد أن فرغت أنت من التهام نصيبك .. ولقد قالوا

انك حاولت أن تعضها وأن تقضم قطعة من لحم ذراعها احتجاجا على ما اتهمتك بـــه من أنانية ..

ان في عرفنا ، في مجتمعنا الانساني ألا نحل خلافاتنا بمثل هذه الطريقة . وأرى من واجبي أن أحذرك تحذيرا قاطعا من مغبة هذا العمل .

الرسالة السادسة

أما المدرسة فانها شيء لن تجد منه مهربا .. وسوف يكون لزاما عليك أن تصبر على معاناة هذا الشيء طوال اثني عشر عاما على الأقل . هذا ان لم تحس بالميل الى اطالة هذا المدى .. ولا تتوقع العطف من كائن من كان في هذه المسألة .. ولقد علمت أن والدك يحاول أن يشعرك — في ضجة وصخب — ان المدرسة هي أهون الشرين .. وسوف يكون لزاما عليك أن تحتمل ما سوف ينالك من وعيد المدرسين وتهديدهم .. وأن تروض نفسك على احتمال أشد العذاب الذي يجيئك من ناحية دروس الحساب — وبخاصة اذا كنت قد ورثت من خالك البراعة في تلك الدروس — وان تروض نفسك كذلك على ما سوف تعانيه من تصاريف الزمن في كل ما له علاقة بالمعاملات في الفصل وما يتخلل ذلك مـــن منغصات . ثم ما يتلو ذلك من كروب الامتحان وشدائده ونتائجه .. فلا تقف موقف الخائف المرتعب في هذا المجال . فانك سوف تجتازه على أتم ما يكون ..

الرسالة السابعة

ان أمك ليست الآن كما كانت بالأمس وكما اعتدت ان تراها .. فانك الآن سندها ومرشدها .. ان حياتها مليئة بالذكرى المحزنة . ولكنها تستطيع أن تنسى الكثير من تلك الذكريات في بيت جديد تستطيع أنت ان تنشه بمعونة زوجة لك .. ان لك دخلا حسنا .. ومن الخير لك أن تتدبر أمر الزواج في عناية بالغة ..

الرسالة الثامنة

ان خمسين مغلفا ذات لون أزرق ، ومثلها من ورق الخطابات الغالية القيمة — وقد كتب على كل منها عنوانك — قد تركتها لزوجتك . وأنت تأمل — فيما اعتقد — انها سوف تكتب اليك كل يوم خطابا تقص فيه حديث سعادتها وهي تقيم في بيت أبيها .. واني لأخشى القول أن من واجبي تحذيرك من أن عدد الخطابات لن يزيد على خمسة ..

وسوف تشعر دائما بالتأهب لارسال برقية تستفسر فيها عن سر توقف الخطابات .. وعلى أية حال فان من الكثير جدا أن يتوقع المرء من زوجة شابة أن تقوم بالعمل البارع الذي هو وقف على الصحفيين المحترفين دون سواهم ..

الرسالة التاسعة

حين رأيتك منذ حين تفكر في مشكلات البنات وأنت مكتئب النفس . خطر ببالي أن أتنبأ لك بأن الحياة تدخر لك مفاجأة لطيفة .. ولعلك قرأت في وجه ابنتك رأيها في الفتى .. ولقد اتفق لي ان عرفت والد الفتى وأعمامه . فقد كانوا من لداتي في الدروس وزملائي في المدرسة فيما مضى .. انهم أناس طيبون .. ولكني لست مستعدا أن أقسم على هذا أمام القاضي .. ومما يثير الشبهة عندي أنهم ميالون الى حب المال .. وانهم قد يطلبون هذا الشيء أو ذاك . وأنت من المحقق ، مستعد لكل ما يطلبون .. ولذلك فلا يتولاك القلق . وامض في سبيلك قدما ..

الرسالة العاشرة

لا فائدة ترجى من التحسر على رصيد الحساب الجاري في البنك في هذه المرحلة التي تمر بها . فقد كان مفروضا أن يناله بعض الارتباك في المعركة الأخيرة .. ومع هذا فقد آلمك أن يثير أهل العريس المشكلات أثناء حفـــل الزواج بانتقادهم للتدابير التي اتخذت ، وبعدم الرضا عن الهدايا التي أهديت ، وهلم جرا .. ألا فتعلم أن مثل هذه الأشياء جزء من حياتنا الاجتماعية .. وعليك أنت أن لا تطيل التفكير فيها بعد اليوم .. وماذا لدى أهل العريس غير المماحكة واللجاج .؟! انها حرب لها قوانينها المقررة .. وهناك وجه للتعزي في مثل هذه الحالة . ذلك انك تستطيع — بدورك — ان تأخذ بثأرك يوم يجيء الدور على أولادك الثلاثة — أو الأربعة فيما أتوقع — .. ان ولدك الأكبر سوف ينزل السوق عما قريب اذا لم أكن مخطئا . وهـــو شاب يرجى منه الخير الكثير . وان كثيرا من الناس يصوبون أنظارهم اليه ..

الرسالة الحادية عشرة

ان الضيق والتبرم لا فائدة منهما .. ان ابنك الأكبر يبدو انه يسرف كثيرا جدا ، ويدخر قليلا جدا . وان ابنك الثاني يصر على أن يصحب زوجته الى بيت أهلها مرة كل شهرين . وان ابنك الأصغر دائب على مغامراته في بومباي . وان زوج ابنتك الأولى غير مبال بمشاكل تزويج بناته ، ولا بمشكلات تعليم أبنائه . وانك لتجده دائما في شغل شاغل عن النظر في مثل هـــذه الأمور . وأما زوج ابنتك الثانية فقد قرّ قراره على أن لا يعمل أبدا عملا صالحا .. ويبدو أن أحدا من أهلك لا يلجأ الى مشورتك في أي موضوع .. والحق أن تذمرك وغضبك ناشئان من أن القوم كلهم يعنون بأمور أنفسهم . فلماذا لا تتركهم لأنفسهم يفعلون ما يشاؤون ؟ انك ان تفعل تلق كثيرا من راحة البال .. واني لأخشى انك تلقي التبعة في هذا على عاتق زوجتك الطيبة .. ولكني على ثقة انها قـــد راضت نفسها خير رياضة على تلقي مثل هذه الهجمات .

الرسالة الثانية عشرة

اني لمبتهج لهذا النبأ القائل انهم يعدون العدة للاحتفال بذكرى بلوغك سن الثمانين يا ولدي ! واني لأرجوك أن تقدم أطيب تمنياتي لتلك المرأة البارعة زوجتك التي يحق لها أن تحس بحقها المشروع في الاغتباط والفخر في ذلك اليوم ..

واني لأستأذنك في القول انك في ذلك اليوم سوف تستعرض حساب السنين . وسوف تحس احساس العروس وهي تنصت الى دقات الطبل والمزمار . وتنظر الى أدخنة البخور التي ترتفع في الهواء . وهي تستمع الى الأصوات المرحة . أصوات أولادك وحفدتك ، وهي تجلجل في أذنيك ..

ان هذه المهمة هي أجمل المهمات التي يمكن للمرء أن يتخيلها فوق ظهر هذه الأرض ..

وأظنني بهذه الرسالة أستطيع أن أختتم رسائلي . وذلك لسببين : الأول : هو أنني أحس أنك قد بلغت السن التي تستطيع فيها أن تفهم شؤون الحياة ولا معين لك غير نفسك ..

والسبب الثاني : هو أنك تعرف اني أجد عناء شديدا في أن أمسك بالقلم وان أحرر الرسائل . ذلك لأني سبقتك الى بلوغ الثمانين من عمري منذ ما يقرب من ثمانية عشر عاما .

الحركة الأدبية في العالم العربي

○ ما زال الأدب المهجري يستهوي الباحثين بوفرة موضوعاته ، وكثرة مناحي التجديد فيه ، وارتفاع قممه وقيمه . وأحدث كتاب صدر في هذا الباب هو « العروبة في شعر المهجر » للأديب السوري الأستاذ فريد جحا ، وقد عني فيه عناية خاصة بابراز السمات العربية الصادقة في شعر المهجر ، من حرص على سلامة اللغة ، وتمجيد للمناقب العربية الأصيلة .

○ شرع الأديب العراقي المعروف الأستاذ جعفر الخليلي في اصدار دائرة معارف كبيرة اختار لها عنوان « موسوعة العتبات المقدسة » للتعريف بمقدسات المسلمين المختلفة . وقد صدر من هذه الموسوعة قسمان ، هما الجزء الأول والمدخل . وسيتابع الاستاذ الخليلي اصدار أجزاء هذه الموسوعة بمعونة كوكبة من رجال العلم في العراق وخارجه .

○ صدر باشراف مجمع اللغة العربية كتاب « معجم الجيولوجيا » مشتملا على نحو ١٢٠٠ مصطلح في علم طبقات الأرض ، مع تعريف موسع لمعنى كل مصطلح وما يقابله باللغة الانكليزية .

○ ظهر كتابان جليلان في بحث قضايا اللغة العربية هما « آراء في العربية » للأستاذ عامر رشيد السامرائي و « فلسفة اللغة العربية » للدكتور عثمان أمين .

○ أصدر الدكتور ممدوح حقي كتابا عنوانه « العروض الواضح » يناقش فيه قضايا الشعر .

○ من الكتب الاسلامية التي ظهرت أخيرا تسعة أجزاء من كتاب « الألف المختارة من صحيح البخاري » للأستاذ عبد السلام هارون ، و « التعريف بالاسلام » للأستاذ عبد الكريم الخطيب ، و « على أسوار دمشق » و « معركة الجسر » وهما الحلقتان الأولى والثانية من الملحمة الاسلامية الكبرى التي يصدرها الاستاذ علي أحمد باكثير عن حياة عمر بن الخطاب ، و « ابراهيم أبو الأنبياء » وهو الكتاب الأول في سلسلة « السيرة النبوية » التي يخرجها الأستاذ عبد الحميد جودة السحار .

○ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « صوت أبي العلاء » للاديب الكبير الدكتور طه حسين .

● في الأدب المسرحي ظهرت الكتب التالية : « المسرح الحي » من تأليف آلمر رايس وترجمة الدكتور داود حلمي السيد ، و « المحراث والنجوم » وهي مسرحية لشون أوكيسي ترجمها الأستاذ فوزي العنتيل وقدمها الدكتور عبد الله عبد الحافظ متولي ، و « خيال الظل » وهي مسرحية من تأليف الدكتور رشاد رشدي .

○ من الدواوين التي ظهرت أخيرا : « قولوا لها » للشاعر اللبناني الأستاذ قبلان مكرزل ، و « الحياة الحب » للشاعر المصري الاستاذ ابراهيم محمد نجا ، و « انشودة الغرباء » للشاعر الأستاذ محمد الحديدي ، و « قصائد » للأستاذ عبد الوهاب البياتي .

○ من المؤلفات التي ظهرت في التربية وعلم النفس « اتجاهات في التربية والتعليم » للدكتور محمد جمال صقر ، و « علم النفس الصناعي » للدكتور أحمد عزت راجح ، و « مجالات علم النفس » للدكتور مصطفى فهمي ، وهو يقع في جزئين ، يتناول الأول منهما موضوع علم النفس الاجتماعي والصناعي ، ويتناول الثاني سيكولوجية الأطفال غير العاديين وعلم النفس الاكلينيكي .

○ « السلم الرخامي » رواية طويلة صدرت للأستاذ عبد الله الكبير .

○ في أدب التراجم ظهرت مجموعة من الكتب منها « قصة نفس » ، وهي سيرة ذاتية للدكتور زكي نجيب محمود ، و « معروف الرصافي » للدكتور ممدوح حقي ، و « حفني ناصف » للأستاذ محمود غنيم ، و « تورنتون وايلدر » تأليف ركس بيربانك وترجمة المرحوم الأستاذ أنور المشري ، و « تنيسي وليمز » تأليف سيجني لينيافولك وترجمة الأستاذ رمسيس شكري ، و « الملكة اليزابث والأرمادا الاسبانية » تأليف فرنسيس ونوار وترجمة الاستاذ متري أمين ومراجعة الدكتور زكي نجيب محمود .

○ أصدر الدكتور حسين فوزي كتابا جديدا عنوانه « الموسيقى السيمفونية » عرّف فيه بالموسيقى وأرشد الى أساليب تذوقها وترجمة معانيها .

○ من الكتب العلمية التي أضيفت الى المكتبة العربية في الأوان الأخير « مبادىء علم التشريح ووظائف الأعضاء » للدكتور شفيق عبد الملك ، و « الرياضيات في اللهو والجد » تأليف ناثان كورت وترجمة الأستاذ عبد الحميد لطفي ، و « صواريخ العصر » للأستاذ سعد شعبان ، و « آفات الخضر ومقاومتها » للدكتورين شاكر محمد حماد وحسين العروسي والأستاذ محمود عبد الحليم عاصم ، و « المحركات » تأليف جيروم ماير وترجمة الاستاذ عباس عبد القادر ، و « الانسان وصحته النفسية » للدكتور مصطفى فهمي ، و « الخلية من النواحي السيتولوجية والبيوكيماوية والوراثية » للدكتورين محمد عزيز فكري وعماد الدين الشيشيني ، و « علم الحشرات » للدكتور شاكر محمد حماد ، و « الكيمياء العملية » للدكاترة عبد الفتاح اسماعيل ، وحسن خالد ، وعبد المجيد مرزوق العجان ، و « الكيمياء غير العضوية » للدكاترة حسن خالد ، وسامي طوبيا ، وعبد المجيد العجان .

○ ترجم الدكتور نظمي لوقا كتابا عنوانه « أفانين من العلم والأدب والفكاهة » ، وهو يضم طائفة مختارة من مقالات مجلة « هاربر » الأمريكية ، اختارها هوراس نولز .

○ في الفنون ظهر كتابان جديدان هما « الموجز في تاريخ الفن العام » للأستاذ أبو صالح الألفي ، و « طرق تدريس الفنون » للدكتور حمدي خميس .

○ من كتب تاريخ البلدان وجغرافيتها ظهرت هذه الطائفة : « تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر » وهو كتاب ضخم من تأليف محمد بن عبد القادر الجزائري ظهر مشروحا ومعلقا عليه بقلم الدكتور ممدوح حقي ، و « باكستان » وهو من تأليف الاستاذين حسن محمد جوهر ومحمد مرسي أبو الليل ، و « الصومال » من تأليف الدكتور عبد الفتاح شلبي والأستاذين حسن محمد جوهر وحسين أحمد شلبي .

○ ظهرت طبعة ثانية كبيرة لكتاب « تاريخ الفلسفة الأدبية في العصر الوسيط » للمرحوم الأستاذ يوسف كرم .

○ أصدر الدكتور مصطفى الخشاب كتاب « المدخل الى علم الاجتماع » وفيه مباحث مفصلة عن مقومات علم الاجتماع ومذاهبه ومناهجه والعوامل التي تدخل فيه .

مص الأصابع عند الأطفال

بقلم: السيدة فضيلة هندي
ليسانس في علم النفس الاجتماعي

من الحركات الخاصة التي تلفت النظر هي مص الأصابع عند الأطفال .. وكثيرا ما يظهر ذلك منذ الاسابيع الأولى في حياة الطفل . ويمكن اعتبار مص أصابع اليد أو الرجل عملية عادية يقوم بها كل طفل تقريبا . يشتق منها لذة ويجد في اجرائها شيئا من المهارة في تحريك يده أو رجله . ووضعها في فمه دفعة واحدة دون أن يخطىء الهدف . وفي هذا العمل . بعض التمرين على التوافق العصبي والعضلي .

ولكن الخطورة في استمرارها تكمن في انها تصبح عادة عند التقدم في السن . وبعض الأطفال يظلون يمصون أصابعهم الى سن الثانية عشرة أو السادسة عشرة أو بعد ذلك . وأذكر في ذلك فتاة في الخامسة عشرة من عمرها كانت لا تنفك عن وضع أصبعها في فمها رغم كثرة عقابها من والديها ووضع مواد كاوية على اصبعها ظنا منهما انهما بهذا الاسلوب يستطيعان أن يجعلا ابنتهما تكف عن تلك العادة . ولكن دون جدوى .. وذلك لاتباعهما الاسلوب الخاطىء في معالجة هـذه الحالة .. والنظر الى عملية مص الاصبع في حد ذاتها دون معرفة أسبابها أو النظر الى ما دفع طفلتهم الى القيام بها .

وسر استمرار هذه العادة يتلخص في أمر واحد . وهو انها أسلوب لنشاط لا يؤدي الى نتيجة ايجابية ملموسة ، فهو نوع من العمل غير المنتج يقوم به الطفل ثم يعتاده . ولهذا يعتبر مص الأصابع عاملا يساعد على الاغراق في احلام اليقظة .

ويلاحظ أن الطفل الصغير عند ممارسته مص الاصابع يكون سعيدا ويمارس هـذه العملية على فترات . أما الطفل الكبير فيبدو عليه عدم السعادة في ممارستها . ونجده يكب عليها باستمرار وتزداد فترات ممارستها لمن اعتادها عند اعتلال الصحة أو عدم تحقيق الرغبات أو عند محاولة حل مشكلة صعبة ، أو عند عدم الرغبة في النوم ويكون عادة عند ممارستها بعيد الصلة بالعالم الواقعي شارد الذهن . عديم المقدرة على التركيز في أي



أمر من الأمور . المدرسة مثلا .. وهكذا ففي مواقف الغيرة أو الشدة أو الحرمان أو ما شابه ذلك يلجأ الطفل الى ملجئه الأمين الذي تعوده وهو مص الأصابع ..

وأذكر في ذلك حالة طفلة في الثانية عشرة من عمرها حضرت الى العيادة النفسية بصحبة والدتها وكانت تشكو من كثرة شرود الذهن وعدم الكف عن مص اصبعها .. مما يجعلها تظهر وكأنها بلهاء .

كانت هذه الطفلة تعيش في أسرة مكونة من أب وأم وخمسة أطفال والطفلة هي الثامنة في ترتيب الأسرة يكبرها ذكر واحد يبلغ الثالثة عشرة من العمر . ومن دراسة التاريخ التطوري لها تبين أن الأم لم تكن ترغب في انجاب الأطفال عندما حملت بها .. وعندما ولدت الطفلة قامت الام بارضاعها ولكنها كانت تتضايق لوجود ابنتها في حجرها مدة الرضاعة مماجعلها تقوم بفطامها قبيل انتهاء عامها الأول .. نشأت الطفلة ولم تكن علاقتها طيبة بأخيها الذي يكبرها .. اذ كانا دائمي الخلاف معا .. وتقول الأم أن الطفلة لم تكن قادرة على درء هذا الاعتداء .. وكل ما تستطيع أن تقوم بـه ردا على عدوان أخيها هو أن تذهب الى أمها شاكية باكية لانصافها .. أو تجلس في زاوية بعيدة وقـد شغلت نفسها بمص أصبعها .. أما علاقة الطفلة بوالدها فكانت سيئة لقسوته .. وهـو يبرر هذه المعاملة السيئة لمخالفة الطفلة أوامره وعدم انتباهها وكثرة شرود ذهنها .

أما سلوك الطفلة فنستطيع اجماله بأنها كانت هادئة .. سلبية .. خجولة .. لا تكف عن مص اصبعها عند توجيه أي سؤال لها .. حتى عند سؤالها عن اسمها ..

واتضح من تحليل هـذه الحالة أن الطفلة كانت تشعر بالغيرة من أخيها الذي كان يتفنن في ايذائها والاعتداء عليها . ومشاكستها .. ولا شك أن ذلك أدى الى شعورها بالقلق وعـدم الطمأنينة في جو الأسرة .. كما انها لم تجد في سلوك والديها نحوها ما ينصفها من أخيها . فعلى العكس من ذلك كان سلوك الأب نحوهـا يقوم على القسوة والتهديد والوعيد والعقاب .. أما سلوك الأم فكان سلبيا . ومن ثم كانت هذه المعاملة لا ترضي الطفلة .. فقد تعرضت لعوامل بيئية مضطربة لـم تجد فيها الطمأنينة والأمن .. بالاضافة الى فطامها المبكر الذي لم يتح لها فرصة تناول الغذاء الكافي . مما أدى الى تعرضها لضروب من القلق النفسي عبرت عنها في سلوكها السلبي كالانطواء والانسحاب ومص الأصابع كمخرج لها من تلك الورطة .



وهكذا نرى أن مص الأصابع يقنع الطفل بنشاط لا يؤدي الى نتيجة .. وهذا الأسلوب الذي يواجه الطفل بـه مشاكله .. اسلوب سلبي انسحابي .. يبعد صاحبه عن مواجهة الواقع – ولهذا كان مص الاصابع دليلا ينبىء عن احتمال ظهور الصفات النفسية السلبية في الكبر .. كالميل الى العزلة والانكماش والخجل وقلة الجرأة الاجتماعية في الحديث أو في حصول المرء على حقوقه والمحافظة عليها وقلة الميل الى الصراحة .. وشدة الميل الى التكتم وضعف روح المخاطرة .. واعتباره لكل أمر من الأمور سرا خالصا لا يجوز اطلاع أحد عليه .. وشدة الحساسية وسرعة التأثر وغير ذلك من صفات الشخصية المنطوية على نفسها ..

وفيما يلي توضيح لما ذكر .. طالب في السادسة عشر من عمره يشكو النفور من الناس .. والخوف مـن ارتياد المجتمعات .. وانخفاض علاماته في الامتحانات الشفهية .. بالرغم من ارتفاعها الظاهر في الامتحانات التحريرية .. كما يشكو من تسلط زملائه عليه .. واغتصابهم لأدواته المدرسية والهزء بـه والسخرية منه دون أن يستطيع أن يرد عليهم اهاناتهم أو عدوانهم ، فكل ما كان يستطيع فعله هو أن ينسحب بعيدا عنهم في ركن منعزل . وينفرد في مص اصبعه متخيلا نفسه بطلا هماما وفارسا شجاعا يقضي بالسيف والبندقية عـلى جميع رفاقه الأشرار . وكثيرا ما كان يشرد ذهنه أثناء مذاكرة الدروس فيرى نفسه طالبا ناجحا يجاوب على كل سؤال يوجه اليه ويناقش الاستاذ بكل فصاحة وطلاقة .. وكثيرا ما تقض مضجعه خيالات يتصور بها نفسه وقد ترأس الجمعيات وشارك زملاءه حفلاتهم ونشاطهم ... كل ذلك كان يجري واصبع الابهام في فمه يمصه دون أن يدري ما يفعل .

فلا بـد اذن من تقصي الأسباب التي أدت الى هذه العادة . . فلكل سبب مسبب . . ويرجع أغلب أعراض الأمراض النفسية – كما يقول علماء النفس – الى مرحلة الطفولة وما يصادف فيها الطفل من خبرات .. ومعرفة الأسباب ضرورة لا بد منها لفهم الظاهرة نفسها . . واتباع الأساليب الصحيحة في علاجها .

وبدراسة التاريخ التطوري لهذا الطالب .. تبين أن ولادته كانت طبيعية وظروف الحمل عادية .. الا انه أصيب في اليوم الأول بنزيف في السرة لمدة ساعة ونصف .. وكان ضعيف البنية .. وقد تمت عملية فطامه في سنته الأولى نظرا لانقطاع لبن الأم .. وقد أصيب الطفل بعدة أمراض ونزلات معوية .. مما جعله دائما ضعيف البنية هزيل الجسم . وكان لحالة افراد الأسرة وسلوك أفرادها أثر فعال في تكـوين شخصيته .

وبتحليل العوامل الفعالة التي أدت الى مشكلة هذا الطالب يتضح أن هـذا الطالب منذ طفولته المبكرة كان هدفا لمشاعر الخوف والاضطراب بسبب ضيق أمه وتبرمها بأولادها .. وقد يكون مرجع ذلك الى ما كانت تعانيه الأم من أمراض . كما لم يستطع الأب تعويض أطفاله ما كانوا يحتاجون اليه من عطف وحنان لكثرة تغيبه عن المنزل بسبب أعماله .. كل ذلك جعل هذا الفتى منذ باكورة حياته يعيش في جو مضطرب .. لم يستطع خلاله أن يشبع حاجات الطفولـة من حنو وعطف ورغبة في الانتماء الى جماعة يحبها وتعطف عليه .. وقد أدى ذلك الى تعرضه لمجموعة من الصراعات النفسية والانفعالية المؤلمة .. حيث عبر عن هذه الانفعالات المؤلمة المتراكمة في نفسه بشكل مرضي فوجدت لها متنفسا عن طريق مص اصبعه واللجوء الى أحلام اليقظة التي تجلت في شروده الى عالم بعيد الصلة بالعالم الواقعي .

ولكن الصفات السلبية التي تصاحب مص الأصابع والتي ذكرناها سابقا ليست نتائج لمص الأصابع وانما هي في الغالب مصاحبات لها .

وفيما يتعلق بعلاج مص الأصابع .. فلا يجوز أن يقتصر علاجه على الظاهرة نفسها بل يجب أن يتجه كذلك – بعد التأكد من علاج الحالة الجسمية التي قد تساعد على وجود الحالة العصبية – الى معرفة أسباب شقاء الطفل .. فندرس علاقة الطفل بوالديه واخوته ومدرسيه وزملائه ومدى تحقيق حاجاته الأولية .. في مجالات حياتـه المختلفة من منزل ومدرسة وعمل ومجتمع .. ونعمل على تعديل ميادين حياته بما يحقق له الهدوء والنشاط .. ويكفل للطفل تكيفا اجتماعيا ونفسيا بعيدا عن كل أنواع الصراع .

كما يجب أن يعود الطفل الذي يعاني من مص الأصابع على اشغال يديه في عمل منتج وشيق كأن يشغل بلعب فيها مجال لتركيب قطع مـع بعضها لتكوين شكل معين ، أو يشغل باستعمال آلة موسيقية يستعمل فيهـا يديه وفمه أو الاثنين معا .. أو الرسم أو مساعدة الأم في أعمالها مما يشعره بقيمته أمام نفسه والناس . كما ويستحسن أن نذكر الطفل بوجوب الاقلاع عن هذه العادة .

ومن الخطأ كل الخطأ اللجوء الى العقوبات الصارمة أو حتى الخفيفة بغية منع الطفل عن مص اصبعه كأن نضربه أو نعذبه بربط يده خلف ظهره أو نقوم بحبسه في مكان مظلم أو غير ذلك من الأساليب التي تهدد الطفل – لأن ذلك سوف يزيد من عناده والاصرار على تلك العادة وان تركها أمام الكبار فانه لن يتركها بينه وبين نفسه حيث المجال الطبيعي الحر لممارسة هذه العادة .. فضرر علاج مص الأصابع بالقوة والشدة أعظم وأكبر من خطر تركها .

وأخيرا لا بـد من علاج هذه الحالة من الاهتمام بحسن التغذية وتنظيم النزهات .. وتحسين الصحة – وشغل اليدين بطريقة شيقة منتجة واشباع حاجات الطفل في مجالات حياته المختلفة بطريقة تجعله قانعا مسرورا من نفسه .

طبق الشهر

الفاصوليا الجافة بالزيت

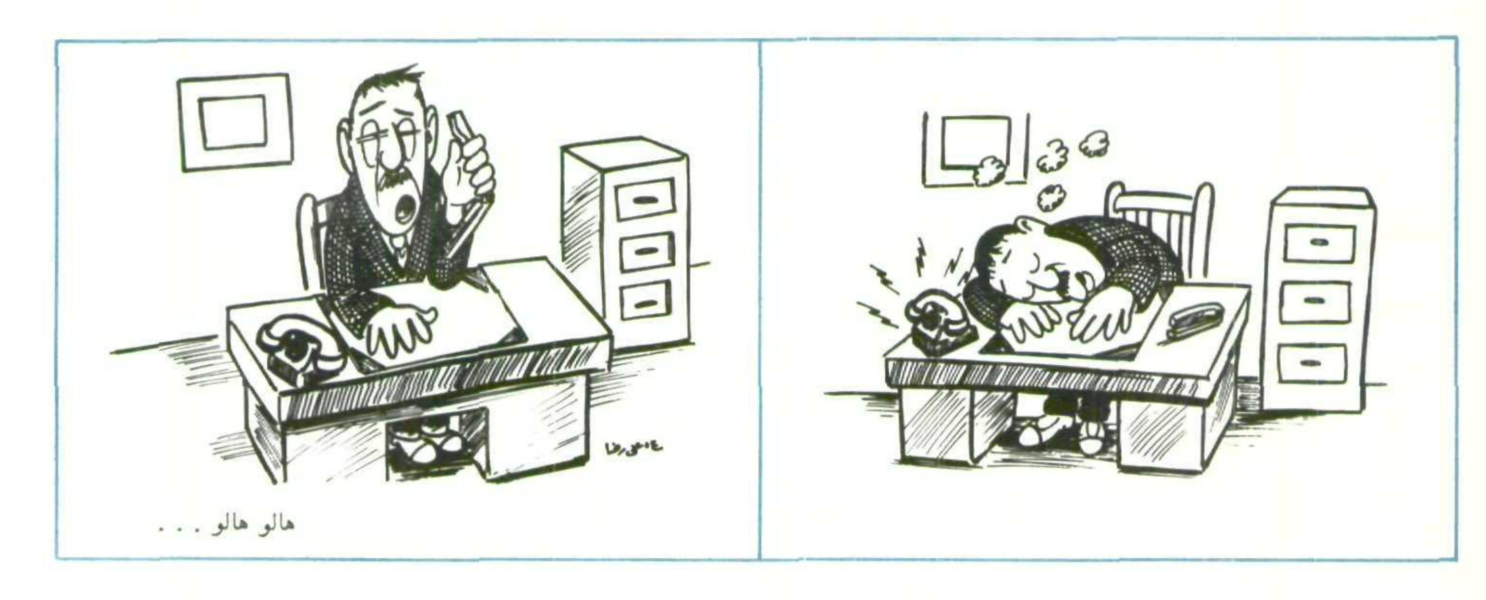
المقادير :

٥٠٠ غرام من الفاصوليا الجافة
٢٥٠ غرام من الجزر الأصفر
٧ ملاعق من زيت الزيتون
١ كوب من عصير الطماطم
بصلة كبيرة الحجم
قليل من الملح والفلفل الأسود
قليل من البقدونس والليمون للتزيين

الطريقـة :

تنظف الفاصوليا وتنقع في ماء دافىء مدة ١٢ ساعة . ثم يقدح الزيت وتحمر فيه البصلة بعد فريها ناعما . وبعد ذلك تضاف الى البصلة المحمرة . الفاصوليا والجزر المقطع الى حلقات وعصير الطماطم والملح والفلفل وماء دافىء بحيث يغمرها . ثم يترك المزيج على النار حتى تنضج الفاصوليا . وبعد ذلك تقدم الفاصوليا باردة مزينـة بالبقدونس وشرائح الليمون .

الصفحة الضاحكة



يا لروعة التعليم

لاحظت سيدة غبارا على زجاج النوافذ فقالت للخادمة ! انظري الى هذا الغبار . باستطاعتي أن أكتب على الزجاج باصبعي .

الخادمة : أحقا ما تقولين ؟ انك مدهشة ... يا لروعة التعليم !



النادل : لماذا تأكل الحلويات بهذه الطريقة ؟

الزبون : الدكتور نصحني بالابتعاد عن الحلويات بقدر الامكان.

على الأقل

كان بخيل راكباسيارةتاكسي ، وعندماانزلقت السيارة صاح السائق قائلا : ما العمل ليس في السيارة فرامل ؟ وهنا صرخ البخيل في وجه السائق : على الأقل أوقف العداد .

تخلص

اشترى أحمق يوما دقيقا وكلف حمالا بحمله ، فهرب الحمال بالدقيق . فلما رآه الأحمق بعد أيام ، اختفى منه ، فقيل له : لماذا فعلت هكذا ؟

فقال : اخاف ان يطالبني بالأجرة .

ليس غريبا ..!

حاول جحا أن يشعل النار فلم يستطع . فأتى بخمار امرأته ووضعه على رأسه ونفخ في النار فاشتعلت . فقال : عجبا !... حتى النار تخشى امرأتي .

رأي صائب

المؤلف : ما رأيك في مسرحيتي ؟

الناقد المسرحي : رائعة ولكن كان ينبغي أن تجعل البطل ينتحر بالمسدس لا بالسم ؟

المؤلف : ولماذا ؟

الناقد : لكي يوقظ المتفرجين .

إن كنت لا تدري فتلك فضيلة !

قال اسكتلندي لعروسه وهما يتأهبان لقضاء شهر العسل :

هل تدرين يا عزيزتي ما الفرق بين الأوتوبيس والتاكسي ؟

قالت : لا

قال : اذن سنستقل الأوتوبيس !

إصابة غير صناعيّة

عاد موظف من اجازته فدخل لتوه على رئيسه يسأله زيادة مرتبه بمناسبة زواجه وكان الرئيس خفيف الظل فأجابه قائلا : لا يا هذا . ان المؤسسة ليست مسؤولة عن اصابات موظفيها خارج العمل .

وصايا الآباء للأبناء

الأب لابنته في ليلة الزفاف : يجب على الزوجة أن تتبع زوجها حيثما ذهب .

الابنة : حتى ولو كان ساعي بريد يا أبتي ؟!

من شب على شيء ...

الأول : لقد امتنعت عن المراهنة .

الثاني : لا أصدق هذا الكلام .

الأول : ألا تصدق ؟! هل تراهن على ذلك ؟

ذل السؤال

قصد فقير بيت غني بخيل فوجد الخادم بالباب فسأله قائلا : هل سيدك هنا ؟

الخادم : والله لن أخبرك حتى تعطيني رغيفا .

فقفل الرجل راجعا وهو يقول : « الحمد لله الذي أغناني عن ذل السؤال » .



ابنة الطبيب : ماذا تعمل يا ابي ؟ الأب : دقات الساعة ضعيفة جداً .





السيد محمد سعيد رمضان على ظهر ناقلة زيت
في الفرضة الشمالية برأس تنورة
وهو يقوم بعمليات التفتيش